صراع القوى في بلاد الشام وأثره في مواجهة الغزو الإفرنجي

أ.م.د. عبد الهادي محمد عباس
رئيس قسم التاريخ / كلية التربية

المبحث الأول الصراع السلجوقي الفاطمي بين عامي (٤٤٧هـ-٤٩١هـ)

تمثل هذه المرحلة بداية دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ وإعلانهم الحرب على العبيديين (*) وقيامهم بضرب حليفهم البساسيري (*) وقتله سنة ٤٥١هـ وإعادة الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢هـ – ٤٦٧هـ) إلى حاضرة ملكه بعد نفيه من قبل البساسيري إلى حديثة عنه (١) .

وقد بدأ الصراع مع الفاطميين بقرار السلاجقة إنهاء الوجود الفاطمي في بلاد الشام ومصر على وجه الخصوص بعد اعتلاء السلطان ألب أرسلان (*) عرش السلطنة السلجوقية (٤٥٥هـ – ٤٦٥هـ) وبعد وفاة عمه طغرلبك (*) (٤٢١هـ – ٤٥٥هـ) ، ونجاحه في تثبيت مركزه سياسيا وعسكريا بالقضاء على منافسيه من أبناء البيت السلجوقي من جهة وإقامة علاقات حسنة مع القوى في المشرق الإسلامي (٢) ، حمل لواء الجهاد ، واضعا بلاد الشام نصب عينيه باعتبارها الهدف الأول الذي يحتم عليه انتزاعها من قبضة الفاطميين حكام مصر ، لكي يتفرغ بعد ذلك لهدفه الاستراتيجي في مواجهة الخطر البيزنطي باعتبارها دار حرب انطلاقا من نهجه الإسلامي ، وعلى الرغم من إصرار السلاجقة على إنهاء الوجود الفاطمي في بلاد الشام إلا أن عوامل ساهمت في تشجيعهم على ذلك منها :

أولا : الانتصارات التي حققها الجيش السلجوقي سنة ٤٥٦هـ على القوات البيزنطية ، وفرض سيطرته على البلاد الواقعة بين بحيرة وان وأرومية وفرض نفوذه على جورجيا وبلاد الأرمن (٣) .

ثانيا : نجاح قوات شرف الدولة العقيلي مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل في مهاجمة بني كلاب بالرحبة (*) سنة ٤٦٠هـ ، وهزيمتهم وأخذ أسلابهم ، وقيامه بإرسال أعلام كانت معهم عليها سمات الخليفة الفاطمي في مصر ، وكسرت وطيف بها في بغداد ، وأرسلت الهدايا من الخلافة العباسية تقديرا لشرف الدولة العقيلي (٤) وكان لهذا الحدث وقع كبير على الوجود الفاطمي في بلاد الشام جعل موقفهم حرجا لا يحسدون عليه .

ثالثا : إن الانتصارات التي حققها الجيش السلجوقي في آسيا الصغرى دفع الإمبراطور البيزنطي أرمانوس ديوجونيس إلى مهاجمة الأطراف الشمالية من بلاد الشام سنة ٤٦٢هـ ، فقد استطاعت قواته دخول منبج واستباحتها ، وقتل أعدادا كبيرة من أهلها ، كما استطاعت قواته هزيمة قوات حليف الفاطميين في حلب محمود بن صالح المرداسي ومن معه من جموع العرب ، إلا أنه لم يطل المقام في بلاد الشام بسبب الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها المنطقة ، وصعوبة تأمين الأرزاق لجيشه ، فاضطر إلى مغادرتها إلى القسطنطينية ، هروبا من وطأة الغلاء الفاحش ، وقلة المؤن (٥) ، ففي الوقت الذي تستبيح فيه القوات البيزنطية بلاد المسلمين في منبج وحلب يقدم الجيش الفاطمي على محاصرة صور في محاولة لانتزاعها من عين الدولة بن أبي عقيل ، فتحركت القوات السلجوقية في بلاد الشام على جناح السرعة ، لفك الحصار عنها بقوة تعدادها اثنا عشر ألفا ، ونجحت في تحقيق هدفها فقد انسحبت القوات الفاطمية عنها ، وبعد عودة القوات الفاطمية لحصارها برا وبحرا إلا أنها فشلت في اقتحامها (٦) ونتيجة لذلك عم الغلاء وانعدم الأمن وقد عبر ابن الجوزي عن ذلك بقوله : ((وورد من مصر والشام عدد كبير من رجال ونساء هاربين من الحرب والغلاء وارتفاع الأسعار)) (٧) فتجمعت عليهم قساوة العيش وقساوة الحرب وكانت معاناتهم كبيرة جدا .

ونتيجة لما تقدم فإن السلطان ألب أرسلان قرر إنهاء الوجود الفاطمي في بلاد الشام وضمها إلى نفوذ السلاجقة ، وكانت حلب الهدف الأول لقواته باعتبارها أهم مدن سوريا الشمالية ، وموقعها جعلها محط تنافس القوى في المنطقة ، كما أنها ثغر من ثغور المسلمين ومعقلهم تجاه الروم البيزنطيين ، وكان يحكمها محمود بن صالح بن مرداس نائبا للفاطميين ، وعندما علم بقدوم القوات السلجوقية أرسل رسله إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢هـ – ٤٦٧هـ) معلنا ولاءه للخلافة والسلطنة السلجوقية وألغى الدعوة على منابر حلب للخلافة الفاطمية ودعا للخليفة القائم (٨) وباركت الخلافة العباسية ذلك وأرسلت إليه الخلع مع رسول الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي ، وتجدر الإشارة إلى أن المرداسي لم يعلن ولاءه إلا بعد أن علم بتحرك القوات السلجوقية بقيادة ألب أرسلان صوب حلب (٩) التي نجحت في دخولها سنة ٤٦٣هـ بعدما نجح ألب أرسلان في ضم ديار بكر (*) وآمد (*) كما أنه حاصر الرها (*) إلا أنه لم يستطع فتحها (١٠) ، ولكي يستكمل ألب أرسلان أهدافه في إنهاء قوة الفاطميين في بلاد الشام أرسل قواته بقيادة أحد قادته المحنكين المدعو أتسز الخوارزمي (*) في نفس العام ٤٦٣هـ للسيطرة على كامل بلاد الشام وتحريرها من قبضة الفاطميين ، ويحمي ظهره من خطرهم ، لأنه قرر الدخول مع القوات البيزنطية في معركة حاسمة (١١) . وقد حققت القوات السلجوقية بقيادة أتسز انتصارات حاسمة على القوات الفاطمية ونجحت في ضم الرملة وحصار القدس وفتحها وضم ما يجاورها إلى نفوذ السلاجقة عدا عسقلان ، كما نجحت في فتح عكا وتوجهت نحو دمشق لحصارها إلا أن صمود الدمشقيين منعه من دخولها فعاد إلى حلب دون أن يحقق أهدافه فيها (١٢) .

فقد كان الموقف العسكري بين سنتي (٤٦٣هـ – ٤٦٥هـ) يسير لصالح السلاجقة ، فقد حققت جيوشهم انتصارات ساحقة على ساحة بلاد الشام ضد الفاطميين وفي آسيا الصغرى ضد القوات البيزنطية إلا أن وفاة السلطان ألب أرسلان في سنة ٤٦٥هـ وطعنه على يد يوسف الخوارزمي على ضفاف نهر جيحون (١٣) كان ضربة موجعة للسلاجقة ، لأنه كان شخصية مرموقة اتصفت بالكرم والعدل وحصل بجدارة على لقب سلطان ، وكان رحيم القلب ، رفيقا بالفقراء ، كثير الدوام بالشكر لله على ما أنعم عليه ، وأحبته رعيته كثيرا ، وكان الجهاد هدفه وغايته ، واهتم بجنده كثيرا وأغدق عليهم ، لكي لا يتطاولوا على أموال الرعية ، وقد خلفه في قيادة السلاجقة ولده ملكشاه (*) بوصاية منه ، وقد دانت له جميع الأطراف واعترفت بشرعية سلطته (١٤) .

إن هذه المتغيرات جعلت ميزان القوى في بلاد الشام متأرجحا مرة لصالح الفاطميين وأخرى لصالح السلاجقة ، ذلك لأن بعض مناطق بلاد الشام التي ضمها أتسز الخوارزمي لنفوذ السلاجقة أعاد الفاطميون نفوذهم عليها مستغلين انشغال ألب أرسلان في معاركه مع البيزنطيين وأبرزها ملاذ كرد فاستعاد الفاطميون عكا سنة ٤٦٤ هـ ، إلا أن تصميم السلطان ملكشاه في السير على نهج والده في إنهاء الوجود الفاطمي وإزالة خطرهم عن بلاد الشام ومصر ، مما جعله يضع نصب عينه إعادة المناطق التي سيطر عليها السلاجقة في حياة والده ألب أرسلان ، ويؤيد ذلك ما أورده ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) في حوادث سنة ٤٦٦هـ بقوله :

((إن الدعوة العباسية أقيمت في بيت المقدس هذا العام وإن القوات السلجوقية استعادت عكا في نفس العام (١٥) . ونجحت في بسط نفوذها على سواحل بلاد الشام وحررت بانياس ويافا ، وخطب فيها للخليفة المقتدي (٤٦٧هـ – ٤٨٧هـ) ، وقصدت قبل هذا مدينتي صور وطرابلس وعقدت مع أمرائها هدنة اعترفوا بالولاء للسلاجقة (١٦) . وذكر المؤرخ السيوطي (ت : ٩١١هـ) في حوادث سنة ٤٦٨هـ أن الخطبة تمت للخليفة المقتدي (٤٦٧هـ – ٤٨٧هـ) وأبطل الدعاء

للفاطميين وفرح الناس بذلك ، واستطاعت القوات السلجوقية بقيادة أتسز الخوارزمي في حصارها بعدما علم بهرب واليها للفاطميين المعلى بن حيدره)) (١٧) .

من خلال ما تقدم فإن الصراع السلجوقي – الفاطمي أخذ بعدا أكبر وكان على أشده بعد تولي ملكشاة عرش السلطنة السلجوقية ويعود الفضل في ذلك كله إلى القائد أتسز الخوارزمي اليد الضاربة للسلاجقة في بلاد الشام ، فبعد أن استكملت القوات السلجوقية سيطرتها على معظم بلاد الشام توجهت بقيادة أتسز الخوارزمي ، لضرب الفاطميين في معاقلهم وحاضرة ملكهم مصر وقد نجح في الوصول إلى منطقة الريف (*) وحاصرها نيفا وخمسين يوما مقيما في ريفها سنة ٤٦٩هـ جرى بعدها مواجهة حاسمة بين القوات السلجوقية بقيادة أتسز والقوات الفاطمية بقيادة بدر الجمالي (*) انتهت بهزيمة القوات السلجوقية (١٨) .

ويبدو أن أتسز الخوارزمي لم يستطع استغلال الظروف الحرجة التي مرت بها مصر في هذه السنة ، فقد كانت قواتهم منشغلة بإخماد ثورات صعيد مصر ولم يحاول كسب المصريين إلى جانبه بل على العكس جعلهم ينفرون منه ومن جيشه ، يؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) بقوله : ((إن أتسز لما نزل بظاهر مصر أساء أصحابه السيرة في الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الأفاعيل القبيحة)) (١٩) وهذا جعل المصريين يلتفون حول بدر الجمالي ، ويقاتلون الجيش السلجوقي بشراسة ، دفاعا عن أرواحهم وأموالهم وكرامتهم ، وأثبتوا قوة الجبهة الداخلية التي أفشلت محاولات أتسز من دخول مصر والسيطرة عليها والتي كانت (قاب قوسين) .

إن هذا الانتصار عزز الموقف العسكري الفاطمي وأعاد الثقة لديهم بإمكانية استعادة نفوذهم في بلاد الشام . فجهز بدر الجمالي جيشا أسند قيادته لناصر الدولة الجيوشي وهو من كبار القادة في الجيش الفاطمي وتوجه صوب بلاد الشام وحاصر دمشق سنة ٤٧٠هـ ، وأعلنت الكثير من مدن بلاد الشام التي كانت خاضعة للسيطرة السلجوقية ولاءها للفاطميين ، إلا أن تولي تتش قيادة سلاجقة الشام بأمر من أخيه السلطان مكلشاة أفرز متغيرات خطيرة ، حيث أسرع لمحاصرة حلب في محاولة لانتزاعها من يد نصر بن محمود بن مرداس إلا أن حصاره لها لم يحقق أهدافه وفشل في دخولها (٢٠) ، وقد استغل الفاطميون حالة الفوضى التي عمت بلاد الشام فتوجهت قواتهم صوب دمشق التي ظلت هدفا استراتيجيا حاولوا تحقيقه وإعادة نفوذهم عليها وضربوا عليها حصارا ، وقد سارع أتسز الخوارزمي بالاستنجاد بتتش لفك الحصار عن دمشق ، وجاءته الفرصة لفرض هيمنته عليها وعندما علم قائد الفاطميين بدر الجمالي بقدوم القوات السلجوقية سحب قواته منهزما من ملاقاتها ، وخرج أتسز ، لاستقبال تتش على أسوار دمشق ، وقد غضب تتش لعدم خروجه لاستقباله من مسافة أبعد ، وكانت حجته واهية أراد من خلالها التخلص من أتسز الخوارزمي فأمر بقتله (٢١) ، وقد ارتكب تتش خطأ فادحا بعمله هذا ، لأنه قتل قائدا بارزا ويدا ضاربة للسلاجقة في بلاد الشام ، ولا نستبعد أن تكون خطة مرسومة بين السلطان ملكشاة وأخيه تتش ، لأن سبب قتله غير مقنع ولا يستحق القتل ، وكان بإمكانه أن يقربه منه ويستفيد من خبرته الطويلة في بلاد الشام ومن إمكانياته العسكرية سيما وأنه ظل مخلصا للسلاجقة وعونا لهم على عدوهم ولم تشر المصادر التاريخية أنه حاول التمرد أو الاستقلال عن السلاجقة .

وظلت دمشق هدفا حاول الفاطميون تحقيقه إلا أنهم فشلوا في تحقيقه للأسباب الآتية :

أولا : إن دمشق كانت تتمتع بتحصينات عسكرية كبيرة من الصعب اقتحامها .

ثانيا : استبسال أهالي دمشق في الدفاع عن مدينتهم وحمايتها .

ثالثا : اعتماد القيادة السلجوقية الجديدة والمتمثلة بتتش استراتيجية ثابتة في إنهاء الوجود الفاطمي في بلاد الشام .

رابعا : إن اقتحام تحصينات دمشق يتطلب جهدا ووقتا طويلا لا يمكن للقوات الفاطمية تحقيقه على ساحة بلاد الشام وعلى الرغم من قدرتهم على صد الهجوم السلجوقي على مصر .

خامسا : إن القوات السلجوقية استطاعت إخضاع أكثر مدن بلاد الشام سواء منها الداخلية أو الساحلية ولذلك يسهل عليها وضع القوات الفاطمية بين فكي كماشة بسهولة ، لذلك اعتمدت القوات الفاطمية على مبدأ الهجوم ثم الانسحاب والتراجع قبل قطع الطريق عليها ، وهذا أفقدها عامل المطاولة والمواجهة في نفس الوقت .

سادسا : إن دمشق أصبحت حاضرة وعاصمة لسلاجقة الشام تحت زعامة تتش بعد دخولها سنة ٤٧١هـ والقضاء على أتسز الخوارزمي .

أما حلب فقد فشل تتش في إخضاعها لنفوذه لصمود الحلبيين بوجهه ومساندة شرف الدولة العقيلي صاحب الموصل لهم حيث دخلها شرف الدولة سنة ٤٧٢هـ بعد استدعاء أهالي حلب له وكتب إلى السلطان ملكشاة بذلك فأجابه بالموافقة بعد أن قرر ضمانها (٢٢) .

على ما يبدو فإن ساحة بلاد الشام قد تعددت فيها القوى ، وتنافست في السيطرة على هذا البلد أو ذاك وإن اللامركزية هي الطابع الذي رسم السياسة والإدارة ، والشيء الوحيد والمهم هو الاعتراف بالسلطان وضمان حقه والولاء له .

إن التنافس بين القوى بدا واضحا على أشده خصوصا بين شرف الدولة العقيلي صاحب الموصل وحلب والذي يمثل التوجه العربي الذي يطمح إلى قيام إمارة عربية قوية وبين تتش الذي يمثل التوجه السلجوقي الذي بات يتخوف من طموحات شرف الدولة العقيلي يؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) بقوله في حوادث سنة ٤٧٤هـ .

إن تتش سار بعد رفع الحصار الذي ضربه شرف الدولة العقيلي على دمشق في محاولة لضمها إلى نفوذه ، إلى الساحل الشامي فافتتح انطرطوس وبعض الحصون وعاد إلى دمشق ، أما شرف الدولة فإنه بعد انسحابه عن دمشق عرج إلى حران وأخذها من بني وثاب النميريين ، وصالحه صاحب الرها ، ونقش السكة باسمه ، وعندما تحشدت القوات السلجوقية بقيادة تتش سنة ٤٧٥هـ قاصدة إنطاكية وما يجاورها ، جمع شرف الدولة قواته وراسل حكام مصر الفاطميين يطلب مساعدتهم لضم دمشق فوعده الفاطميون فسار إليها ، ولما علم تتش بخبره أسرع عائدا إلى دمشق فوصلها أوائل محرم سنة ٤٧٦ هـ ووصل شرف الدولة العقيلي دمشق أواخر شهر محرم وضرب الحصار عليها إلا أنه فشل في تحقيق هدفه للأسباب الآتية :

١- استبسال الدمشقيين في الدفاع عن مدينتهم وقوة تحصيناتها سيما بعدما عرفوا بالاتفاق بين الفاطميين والعقيليين .

٢- عدم وفاء الفاطميين بوعودهم في إرسال الأموال والرجال ، لمساعدته في اقتحام حصون دمشق ، فاضطر إلى رفع الحصار عنها ، وقد تكبد جيشه خسائر فادحة أثناء الانسحاب (٢٣) كما أن صاحب حران أعلن تمرده وعصيانه عليه ، فذهب لحصارها ونجح في اقتحامها وإعادتها إلى نفوذه وصالح صاحب حمص (٢٤) .

وعلى الرغم من فشل شرف الدولة العقيلي صاحب الموصل إلا أنه على ما يبدو ظل محتفظا بهيبته وقوته فقد خضعت له البلاد من السندية على نهر عيسى إلى منبج من الشام ، وما والاها من البلاد ، وكان بيده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لأبيه وعمه قراوش (٢٦) .

ويبدو أن الصراع بين شرف الدولة العقيلي أخذ بعدا عرقيا ومذهبيا في نفس الوقت حيث ذكر د. خاشع المعاضدي ((أن السياسة النفعية مذهب سياسي خاص سلكه أمراء بني عقيل بين

الخلافتين العباسية والفاطمية ، حيث مال معظم أمراء بني عقيل للفاطميين وخطبوا لهم في أعمالهم لكنهم سرعان ما يعيدون الخطبة للعباسيين بسبب ميولهم القومية للعباسيين أحيانا ، وخوفهم من البويهيين والسلاجقة أحيانا أخرى (٢٧) .

ولم يتوقف الصراع السلجوقي – الفاطمي ، فقد حاولت القوات الفاطمية سنة ٤٧٨هـ بقيادة أمير الجيوش فرض سيطرتها على دمشق وضربت عليها حصارا إلا أن محاولتهم فشلت بسبب إصرار تاج الدولة تتش وصمود الدمشقيين واستبسالهم في الدفاع عن دمشق ، فانسحبت القوات الفاطمية دون أن تحقق أهدافها (٢٨) وفي سنة ٤٨٢هـ كانت محاولة فاطمية إلى مدن الساحل ، لإعادة نفوذهم فيها ، خرجت عساكرهم لحصار مدينة صور وكانت تحت نفوذ القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل ووليها أولاده ولم يكونوا بمستوى الدفاع عنها وحمايتها فسلموها إلى العسكر الفاطمي ثم توجهت قوات الفاطميين إلى صيدا واستسلمت لهم ثم قصدوا عكا ثم مدينة جبيل وملكوها أيضا وعادت جيوشهم إلى مصر بعد أن رتبت أحوالها وعينت الولاة عليها (٢٩) .

إن التحركات العسكرية الفاطمية أقلقت السلطان ملكشاة فتوجه إلى بغداد والتقى مع أمراء السلاجقة في بلاد الشام ، فقد قدم إليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة أقسنقر (*) من حلب وبوزان من الرها ، وتدارست القيادة السلجوقية السبل الكفيلة بإنهاء الوجود الفاطمي في بلاد الشام ، ووجه ملكشاة أوامره إلى صاحب حلب والرها أن يضعوا كل إمكانياتهم العسكرية تحت إمرة أخيه تتش حتى يتمكن من تحقيق أهدافه في الاستيلاء على مناطق نفوذ الفاطميين في ساحل بلاد الشام ، وفي نفس الوقت القيام بحملة عسكرية على مصر حاضرة الفاطميين ومعقل عزهم .

وبعد عودة الأمراء السلاجقة إلى بلاد الشام بدءوا بتنفيذ خطة السلاجقة فتحركت قواتهم لحصار حمص وضمها إلى نفوذ السلاجقة ثم إلى قلعة أفاميا وكانت تحت نفوذ الفاطميين وضمها تتش إلى نفوذه ثم تحركت القوات صوب طرابلس ، التي فشلت القوات السلجوقية في ضمها بسبب تفرق كلمتهم أمام الإغراءات والعروض السخية التي بذلها للقادة السلاجقة للحيلولة دون دخولها ، حيث نشب نزاع بين تتش وقادته ، فانسحبت قواته دون تحقيق أهدافها في طرابلس (٣٠) .

ولم يفرط الفاطميون بمناطق نفوذهم في ساحل بلاد الشام حيث تحركت جيوشهم سنة ٤٨٦هـ لإحباط محاولة التمرد والانفصال التي قام بها منير الدولة الجيوشي صاحب صور المعين في سنة ٤٨٢ هـ من قبل الفاطميين وقد نجحت القوات الفاطمية في دخولها بمساندة أهالي صور ورفعهم شعار المستنصر الفاطمي وأسرت صاحبها منير الدولة الجيوشي (٣١) .

وقد جاء العام ٤٨٧ هـ حافلا بالمتغيرات السياسية ، فقد شهد وفاة أمير الجيوش بدر الجمالي ، وتولى ولده الأفضل مكانه ، كما توفي الخليفة المستنصر بالله وولي ابنه المستعلي مكانه ، ورافق ذلك صراعا أسريا على السلطة بين أبنائه فقد عزل على أثره ولده الأكبر نزار ، وبويع لأخيه المستعلي بتخطيط من الأفضل بن بدر الجمالي ، وصاحب ذلك معارك انتهت بقتل نزار من قبل أخيه المستعلي بعدما بنى عليه حائطا فمات وتم تصفية أتباعه من قبل الأفضل الذي أصبح صاحب الكلمة والمسيطر على كل شيء في دولة المستعلي (٣٣) .

هذا ما يجري في مصر والحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام في الطريق ووصولها بين عشية وضحاها ، وأخبارها أصبحت حديث الساعة ولم يغير ذلك من موقفهم شيئا ففي الوقت الذي كانت فيه قوات الإفرنجة على أبواب إنطاكية في سنة ٤٩٠هـ تحركت قواتهم صوب صور وأوقعوا بأهلها مذابح ونهبوها وأخذوا واليها كتيلة الذي أعلن العصيان على الفاطميين أسيرا وقتلوه في مصر(٣٤) .

المبحث الثاني: سياسة تتش وأثرها في زيادة الصراع في بلاد الشام

لقد ولد الصراع بين القوى في بلاد الشام أثرا سيئا على عموم العالم الإسلامي بما أفرزه من حروب طاحنة أدخلت بلاد الشام على وجه الخصوص وبقية بلدان العالم الإسلامي في دوامة من العنف وانعدام الأمن والتدهور الذي عم جميع نواحي الحياة الذي انعكس سلبا على حياة الناس واستنفذ كل طاقاتهم وإمكاناتهم في معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

ذلك أن المدة الواقعة بين سنتي (٤٦٣هـ – ٤٩١هـ) والتي عاشتها بلاد الشام في ظل صراعات مريرة بين القوى زادت من حالة التمزق والتفكك والانهيار وأصبح من الصعب خلق حالة التوحد في ظل صراع مذهبي – عرقي ، أضاف له السلاجقة عاملا آخر يتمثل بنزوعهم إلى اللامركزية عبر عن ذلك د. فاروق عمر بقوله : ((قبائل الغز الذين قادهم السلاجقة كانت بدوية تعتز بفرديتها وتكره الوحدة وتنفر من المركزية والنظام فاستمر التدهور السياسي وكان من بين الظواهر التي أغرت الصليبيين ودفعتهم إلى المشرق)) (٣٥) .

إن سياسة تتش ومنذ اللحظة الأولى كانت قائمة على الفردية ومحاولة تصفية كل المنافسين له وهذا خلق حالة من الصراع المميت الذي أدخل المنطقة في دوامة العنف ، وسوغ لظهور زعامات متعددة على الساحة .

وكانت سياسة تتش والتي أثبتت فشلها قائمة على تصفية القيادات العربية فوضع نصب عينه حلب محاولا انتزاعها من نصر بن محمود بن صالح بن مرداس وذلك سنة ٤٧٠هـ إلا أن هذه المحاولة لم تكن الأخيرة فقد حاول مرات عديدة إلا أن صمود أهالي حلب أفشل أهدافه سيما وأن هذه الأهداف تقاطعت مع طموحات صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي في خلق إمارة عربية قوية يكون عمقها بلاد الشام وتكون حلب ودمشق على وجه الخصوص عمقها الاستراتيجي حيث وقف شرف الدولة إلى جانب المرداسي وقدم له الدعم المادي والمعنوي سنة ٤٧٢هـ وتوجه بدخول حلب سنة ٤٧٣ هـ وضمها إلى نفوذه بعدما تأكد له عدم قدرة المرداسيين في الحفاظ عليها وبعد دعوة أهالي حلب له ، لتملكها ومنع وقوعها بيد تتش وأرسل رسله إلى السلطان ملكشاة بعلمه بضمها إلى نفوذه واستعداده لدفع ضمانها (٣٠٠ ألف دينار سنويا) فأجابه السلطان إلى ذلك (٣٦) .

إن سياسة تتش أدت إلى غياب إمارة عربية (الإمارة المرداسية في حلب) والتي كان لها دور فاعل في مواجهة النفوذ البيزنطي في بلاد الشام حيث أكد المؤرخون ذلك فذكر ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) في حوادث سنة ٤٦٨هـ قوله : ((في هذه السنة ملك نصر بن سابور بن محمود بن مرداس مدينة منبج وأخذها من الروم)) (٣٧) ، ويقول ابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) في حوادث سنة ٤٦٨هـ : ((ورد الخبر بأن سابور بن محمود صاحب حلب أنفذ إلى إنطاكية من حاصرها ... وقرر عليهم (١٥٠ ألف دينار) وأخذوها وعادوا)) (٣٨) .

وتجدر الإشارة إلى أن الحس العربي كان حاضرا عند شرف الدولة العقيلي ومحاولاته خلق حالة من التوحد وجمع الصف واضحة في سياسته فبعدما أصبحت حلب عمقا استراتيجيا للموصل والعكس بدأت محاولاته في إقامة إمارة عربية قوية يكون بمقدورها أن تلعب دورا أساسيا ومحوريا في المنطقة فقام بمحاولات عديدة لضم دمشق إلى نفوذه وانتزاعها من تتش كما أنه بسط نفوذه على حران وصالحه صاحب الرها ونقش اسمه على السكة (٣٩) .

وعندما حاول السلاجقة إنهاء حكم المروانيين في ديار بكر بأمر من السلطان ملكشاة سنة ٤٧٦هـ وعقد لفخر الدولة بن جهير عليها أعلن شرف الدولة العقيلي وقوفه إلى جانب ابن مروان على الرغم من العداوة المستحكمة بينهم ، وكانت هزيمة المروانيين سنة ٤٧٧هـ سببا في استيلاء ابن جهير على الموصل (٤٠) .

ويبدو من سير الأحداث أن موقف شرف الدولة العقيلي المساند لابن مروان أغضب السلطان ملكشاة شخصيا حيث توجه شخصيا إلى الموصل ، ليملكها فأتاه خبر تمرد أخيه تكش عليه ، وقد تدخل الخليفة العباسي المقتدي بالله (٤٦٧هـ – ٤٨٧هـ) شخصيا في إصلاح الأمر بين شرف الدولة مسلم العقيلي صاحب الموصل والسلطان السلجوقي ملكشاة وأرسل سفيره النقيب طراد الزينبي للقاء شرف الدولة فلقيه في الموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد إلى خراسان لحرب أخيه (٤١) وهذا يعني أن العقيليين كانوا يمثلون الموقف العربي تجاه التسلط السلجوقي وأن الخلافة العباسية كانت تؤيد نهجهم هذا .

وكان ظهور سليمان بن قتلمش أمير سلاجقة الروم على الساحة في العام ٤٧٧هـ سببا لمتغيرات عديدة عصفت ببلاد الشام ذلك أن سليمان بعد أن أقره السلطان ملكشاة أميرا على سلاجقة آسيا الصغرى وخوله ما يمكن فتحه من البلاد في العام ٤٧٠هـ أقدم في العام ٤٧٧هـ على ضم إنطاكية إلى نفوذه وكان ذلك تجاوزا على نفوذ العقيليين حيث كان أمراؤها يدفعون ضريبة سنوية لشرف الدولة ، فراسله شرف الدولة طالبا منه دفع الضريبة التي كان يدفعها والي إنطاكية الفردوس الرومي ويخوفه بالسلطان ، فأجابه سليمان أن المال الذي كان يحمله صاحب إنطاكية قبلي كان كافرا يحمل جزية رأسه وأصحابه وأنا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيئا ، فجرت بينهما معارك نهب بها شرف الدولة إنطاكية ونهب سليمان بن قتلمش حلب وانتهت الأمور بينهما إلى حرب طاحنة على مشارف إنطاكية انتهت بقتل شرف الدولة العقيلي عام ٤٧٧هـ وخلفه في قيادة العقيليين أخوه إبراهيم بن قريش (٤٢) وفي سنة ٤٧٩هـ أقطع ملكشاة مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور إلى محمد بن شرف الدولة وزوجه أخته زليجا خاتون (٤٣) .

وتجدر الإشارة إلى أن ضم إنطاكية إلى نفوذ السلاجقة كان نصرا كبيرا لهم ، وحدثا عظيما أوصل الجهد العسكري السلجوقي إلى سواحل بلاد الشام (٤٤) وكان المسمار الأول الذي دقه السلاجقة في نعش الإمارة العقيلية وزوال أيام عزها وقوتها .

ونستطيع القول أن السلاجقة قتلوا بقتلهم شرف الدولة العقيلي حلم العرب في إقامة إمارة عربية في المنطقة .

إلا أنه في نفس الوقت كان سببا في نشوب صراع دموي بين السلاجقة أنفسهم ذلك أن ضم إنطاكية إلى نفوذ سليمان أثار مخاوف تتش الذي عدها من مناطق نفوذه باعتبارها من مدن بلاد الشام وباعتباره أمير سلاجقة بلاد الشام وإن ذلك تجاوز عليه ، وبدا كل واحد منهم يتوسع على حساب الآخر وكان البادئ في ذلك سليمان بن قتلمش الذي جهز حملة عسكرية ، لضم حلب إلى نفوذه وحاصرها سنة ٤٧٩ هـ باعتبارها من أملاك العقيليين وكانت بداية الصراع وقد ساند العرب تتش ضد سليمان انتقاما لقتله شرف الدولة العقيلي فذكر ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) : ((وكان مع تتش أرتق بن أكسب (*) فحرض العرب على القتال)) وكان لهم دور كبير في تغيير ميزان القوة لصالح تتش وهزيمة سليمان وقتله وذكر أيضا ضمن أحداث سنة ٤٧٨هـ ((في هذه السنة من صفر أرسل سليمان بن قتلمش جثة شرف الدولة إلى أهالي حلب على بغل ملفوفة بإزار وطلب من أهلها أن يسلموه البلد)) (٤٥) .

ومن غريب الأمور أن يذكر في أحداث سنة ٤٧٩هـ : ((إن تتش أرسل إلى أهل حلب جثة سليمان بن قتلمش وطلب منهم تسليم البلد)) (٤٦) وقد رفض أمير حلب ابن الحتيتي تسليمها فحاصرها تتش وضيق عليها وأجبر أهلها على الاستسلام ، إلا أنه لم يستطع دخول القلعة حيث غادرها عندما سمع بوصول طلائع جيش أخيه ملكشاة الذي راسله صاحب حلب ابن الحتيتي وطلب قدومه ليسلمه حلب ودخلها ملكشاة في هذا العام وغادرها تتش متوجها إلى دمشق (٤٧) .

وإذا أردنا استقراء الواقع فإننا سنجد أن هذه الأحداث الخطيرة التي عصفت في بلاد الشام ستخدم في المستقبل القريب العدو المرتقب (الحملة الصليبية) ، ذلك لأنها أضعفت بلاد الشام وأفقدت ساحتها العسكرية من قوى فاعلة وشخصيات قيادية كان يمكن لها لو بقيت أن تلعب دورا فاعلا في مواجهة العدوان الصليبي وأبرز هذه القوى على مستوى الإمارات :

١- الإمارة المرداسية في حلب .

٢- الإمارة المروانية في ديار بكر .

٣- الإمارة العقيلية في الموصل وحلب .

أما على المستوى القيادات العسكرية فقتل أتسز الخوارزمي وشرف الدولة العقيلي وسليمان بن قتلمش أمير سلاجقة آسيا الصغرى وكان دخول ملكشاة إلى بلاد الشام سببا في ظهور قيادات إدارية جديدة تمثلت في تنصيب أق سنقر واليا على حلب سنة ٤٧٩هـ أما دمشق فظلت تحت إمرة تتش وأقر بوزان على الرها وهذا يعني أن ملكشاة استطاع تهدئة الأوضاع السياسية في الأقاليم الخاضعة لنفوذهم في الشام وبلاد الأناضول ، وكان لذلك أثر كبير في استقرار الأوضاع حيث شهدت السنوات ٤٧٩هـ – ٤٨٥هـ هدوء نسبيا توقف خلالها الصراع بين السلاجقة وأعوانهم إلا أن وفاة ملكشاة عام ٤٨٥ هـ كان لها الأثر الكبير في خلق متغيرات سياسية وعسكرية خطيرة كان على رأسها تفجر الصراع الأسري بين أبناء البيت السلجوقي (*) ، وجاءت وفاته ، لتقضي على كل أحلام السلاجقة في إقامة دولة قوية تحت قيادة واحدة تستطيع التوسع على حساب أعدائها التقليديين الفاطميين والبيزنطيين ، حيث انتهى بوفاته عهد القوة وبدأت مرحلة الصراع والتفكك والضعف واحتدم الصراع بين أبنائه الذين طالب كل واحد منهم بعرش السلطنة ، وانصرفوا لتحقيق طموحاتهم الذاتية الضيقة على حساب بعضهم البعض وخيمت على الموقف العام حالة الصراع الدموي وتم تصفية بعض القيادات العسكرية من قبل تتش أو من قبل ابن أخيه بركيا روق ذلك أن تتش أعلن نفسه سلطانا حين بلغه وفاة أخيه ملكشاة ، وكان في مدينة هيت فاستولى عليها وعاد إلى دمشق وجمع العساكر وتوجه نحو حلب فاعترف به أميرها أقسنقر وصالحه وسار معه وذلك لعجزه عن مواجهته كما راسل تتش ياغي سيان أمير إنطاكية وبوزان أمير الرها وحران يشير عليها بطاعته والاعتراف به سلطانا فأجابوه وخطبوا له في بلادهم وقصدت قواته الرحبة ونصيبين وحاصرها وملكها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت البلد وفعل بها الأفعال القبيحة كما أنه توجه إلى الموصل وانتزعها من العقيليين ويشير ابن الأثير إلى ذلك بقوله : ((فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم ، سار إلى ديار بكر وميافارقين وضمها إلى ملكه ... وسار إلى أذربيجان وهمذان)) (٤٨) .

ولو ألقينا نظرة متأنية على الرواية السابقة نجد أن سياسة تتش ومنذ دخوله بلاد الشام وتوليه إمرة السلاجقة سنة ٤٧٠ هـ تبنى سياسة عدائية ومتطرفة ضد القيادات العربية في بلاد الشام والجزيرة ، حيث إنه أقدم في سنة ٤٨٦ هـ إلى تحقيق هدفه في القضاء على الإمارة العقيلية في الموصل باعتبارها تمثل معقلا قويا من معاقل العرب في المنطقة وقد سانده أمير حلب أقسنقر وبوزان أمير الرها وحران وجرت معركة فاصلة عرفت بوقعة المضيع قرب الموصل أسر فيها إبراهيم بن مسلم بن قريش العقيلي وبعض أمراء العرب وقتلوا صبرا ونهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب أنفسهم خوفا من الوقوع في الأسر والفضيحة وملك تتش بلادهم وقضى على إمارة العقيليين تماما (٤٩) .

هذه الأفعال الشنيعة ترتكب بحق العرب في الوقت الذي تحشد الفرنجة قواتها وتضع البابوية كل ثقلها لحملة صليبية على بلاد الشام ، بدت ساحة بلاد الشام خالية من القيادات

المخلصة ، وتعمقت فيها الخلافات والأحقاد والولاءات العنصرية والطائفية والمذهبية وأصبحت حالة سائدة في عموم المجتمع الإسلامي .

ولم يكتف تتش بخلق حالة الفرقة والانقسام بين السلاجقة بقتل سليمان بن قتلمش بل أراد أن يعمق حالة الانقسام بين السلاجقة والعرب فتعمقت الخلافات والانقسامات بشكل مأساوي وانعكست سلبا على الموقف العام على ساحة بلاد الشام ، فقد كانت قيادة تتش قيادة متهورة تفتقد إلى الحكمة والعقلانية والرؤية الموضوعية في تعاملها مع الأحداث ، فقد غلبت الأنانية والفردية والمصالح الشخصية الضيقة على حساب مصير البلاد والأمة معا .

فقد أفرز الصراع بين تتش وابن أخيه بركيا روق حالة من الانقسام ، فسعى كل منهما لكسب القيادات العسكرية في بلاد الشام إلى صفه ففي سنة ٤٨٧ هـ استطاع بركيا روق الذي أعلن هو الآخر نفسه سلطانا وخطب له على منابر بغداد بمباركة الخليفة المقتدي (٤٦٧هـ – ٤٨٧هـ) أن يكسب إلى صفه حلفاء تتش وأبرز هؤلاء أقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها وحران وأمدهما بكربوقا (*) الذي أصبح فيما بعد أميرا على الموصل ، وأن سياسة تتش التي تفتقر إلى الحكمة وحسن التدبير كانت سببا رئيسا في خروج حلفاء الأمس عن طاعته وتخليهم عنه في أحلك الظروف ، ويبدو أن تبدل الولاءات المفاجئ من قبل بعض قيادات جيوش السلاجقة قبل وأثناء المعارك ظاهرة كثيرة التكرار (٥٠) . ذلك أن أقسنقر وبوزان وكربوقا توحدوا ضد تتش ودارت معارك طاحنة أسر فيها أقسنقر وقتل من قبل تتش ، ثم توجه إلى حلب وبها كربوقا وبوزان فحاصرها وألح على أهلها حتى اضطروا إلى التسليم وقام بقتل بوزان وأرسل رأسه إلى الرها وحران وتسلم البلدان أما كربوقا فسجنه في مدينة حمص (٥١) وبهذا أضاف تتش صفحة سوداء إلى سجله الحافل بالقتل وتصفية القيادات ، إلا أنه آن الأوان لكي يشرب بذات الكأس حيث أقدم أنصار أقسنقر وأتباعه إلى قتله سنة ٤٨٨ هـ ثأرا لقتله قائدهم أقسنقر (٥٢) .

إن سياسة تتش وغيابه عن الساحة أفرزت معطيات سلبية على ساحة بلاد الشام ، وذلك بظهور زعامات جديدة استطاعت استغلال حالة الفوضى العارمة التي شهدتها المنطقة بعد قتله ، وأبرز هؤلاء أيلغازي وسقمان ابني القائد التركماني أرتق بن أكسب الذي كان من رجال تتش المخلصين وقد كافأه على إخلاصه بأن أقطعه بيت المقدس (٥٣) .

وبالإضافة إلى هؤلاء الأمراء يوسف بن آبق وساوتكين الخادم الذين لم يؤسسوا إمارات مستقلة إلا أن أطماعهم وتغيير ولاءاتهم وتقلباتهم كان لها أثر بالغ في زيادة الصراع السياسي والعسكري ، الذي أدى إلى الفوضى وظهور البطالة بسب الظروف الاقتصادية التي عانتها بلاد الشام نتيجة الحروب المستمرة وجندت أعدادا كبيرة من هؤلاء الذين أطلق عليهم فيما بعد (العساكر البطالين) الذين استخدموا من قبل هذا الأمير أو ذاك القائد في بلاد الشام والجزيرة ، لتحقيق أغراضهم الشخصية ، وخير مثال على ذلك ، قيام كربوقا بحشد أعداد كبيرة من هؤلاء البطالين وتمكن بهم من الاستيلاء على الموصل ومد نفوذه إلى مناطق الجزيرة وأجزاء من بلاد الشام (حران ، نصيبين ، بلد ، الرحبة) (٥٤) .

فقد عانت بلاد الشام سواء مدن الداخل أو الساحل الأمرين بين عام ٤٨٥ هـ حتى مقتل تتش ، ذلك أن الحروب التي دارت رحاها بين القوى المتصارعة أكلت الأخضر واليابس فعم الجوع وتعذرت الأقوات وكاد الناس يهلكون من شدة صبرهم على ما يحصل لمدنهم من حصار ودمار على أيدي الجيوش المتصارعة إضافة إلى ما قاسته بلاد الشام وغيرها من مدن المسلمين كمصر والمشرق من أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية هي الأخرى لعبت دورا كبيرا في معاناة الشعب العربي الإسلامي في بلاد الشام ((فتفشت الأمراض كالحمى والطاعون وأعقب ذلك موت الفجأة ثم ماتت الوحوش في البراري

ثم تلاها موت البهائم حتى عزت الألبان واللحوم)) (٥٥) وفي رواية سابقة ((ونتيجة لحصار دمشق سنة ٤٦٨ هـ غلت الأسعار حتى أكل الناس بعضهم بعضا وحدثت الفتنة في البلد)) (٥٦) .

دور الأمراء والقادة في تعميق الصراعات بعد قتل تتش .

بعد مقتل تتش سنة ٤٨٨ هـ بدأ الصراع على أشده في بلاد الشام بين ولديه رضوان ودقاق ، وكان تبدل الولاءات المفاجئ سمة مميزة وأدى ذلك إلى انعدام الثقة ، لأنه أفقد القيادة المركزية ثقتها بقياداتها الميدانية والعكس وباتت عملية تصفية القيادات ظاهرة اعتيادية وسياسة واردة لدى الأمراء السلاجقة ولا يتورعون عن ممارستها والقيام بها لمجرد الوشاية ، فأقدم الملك رضوان بن تتش على قتل يوسف بن آبق (*) سنة ٤٨٩ هـ لمجرد وشاية من المجن (*) رئيس الأحداث بحلب (٥٧) في الوقت الذي كان فيه يوسف بن آبق من الأعوان المخلصين لقيادة والده تتش ، وكان رضوان بأمس الحاجة لخدماته وخبرته ، ويبدو أنه نهج ذات السياسة الهوجاء التي اعتمدها والده في تصفية كل المقربين منه لأسباب تافهة وغير مبررة ، لذلك نجد بعض القيادات العسكرية أرادت الاستقلال عنه ، حيث أقدم قراجة أمير حران والأمير ساوتكين الخادم في قلعة دمشق على مراسلة دقاق سرا دون علم أخيه رضوان لتسليمه قلعة دمشق ، وقد استجاب دقاق لعرض ساوتكين وهرب سرا دون علم أخيه رضوان وتسلم دمشق وكان دقاق مقيما عند أخيه رضوان في حلب ، وعندما علم رضوان بخروجه أرسل في طلبه وإعادته إلا أنه فشل حيث وصل دقاق دمشق قبل أن يتمكن رضوان منه كما أن باغسيان أمير إنطاكية هو الآخر شجع دقاق على الاستقلال بإمارة دمشق ، وشجعه بعض القادة ومنهم طغتكين وبعض خواص والده تتش شجعوه على ذلك ، ولم يكتفوا بهذا بل تآمروا على قتل ساوتكين الخادم وساندهم باغسيان أمير إنطاكية حيث توجه إليهم ومعه أبو القاسم الخوارزمي الذي نصب وزيرا لدقاق وتحكم في دولته (٥٨) .

وعلى ما يبدو فإن النزاع الذي سرى بين رضوان ودقاق عمقته الأغراض الفردية والتكتلات التي زادت حالة الفوضى ومنعت ظهور قيادة قوية تستطيع الخروج بالمنطقة من أزمتها التي تفاقمت وذهب عصر القادة الأقوياء كما حصل على عهد السلطان ملكشاة بين عامي ٤٧٨هـ – ٤٨٥هـ حيث أقر هؤلاء الأمراء في الشام والأناضول والعراق على مقاطعاتهم وشهدت هذه الفترة هدوء نسبيا .

إن استقلال دقاق بدمشق لم يرق لأخيه رضوان صاحب حلب فسار إليه سنة ٤٩٠هـ عازما على أخذها منه ، إلا أن حصانتها منعته من اقتحامها ، فرحل عنها إلى نابلس ومنها إلى القدس ، ليأخذها ولم يتمكن من ذلك فرحل عنها عائدا إلى حلب .

وإمعانا في زرع الفرقة بين أبناء تتش حسن صاحب إنطاكية باغسيان لدقاق معاملة أخيه بالمثل وشجعه على القيام بحملة عسكرية لضم حلب ، فوافقه دقاق ورافقه باغسيان ، وعندما سمع رضوان بقدوم قوات دمشق اتصل على جناح السرعة بصاحب سروج سقمان بن أرسق طالبا منه المساعدة فأرسل إليه النجدة وأمده بعساكر كبيرة وجرت معركة قرب قنسرين بين دقاق ورضوان انتهت بهزيمة دقاق وتم الصلح والاتفاق على أن يخطب لرضوان في دمشق وإنطاكية قبل أخيه دقاق (٥٩) .

ولم يتوقف الأمر عند الصراع بين أبناء البيت السلجوقي بل تعداه إلى تغيير الاستراتيجية الثابتة التي تبناها السلاجقة منذ دخولهم العراق سنة ٤٤٧ هـ والقائمة على إنهاء الوجود الفاطمي ، حيث أقدم رضوان على إعلان الولاء والطاعة للمستعلي الفاطمي سنة ٤٨٧هـ – ٤٩٥هـ وجرت بينهما مراسلات وتبادل الوفود وأعرب الفاطميون عن استعدادهم بإمداده بالمال والرجال ، إلا أن استنكار بعض قادته على خطوته المفاجئة جعله يلغي كل الاتفاقات مع الفاطميين ، ويعيد الخطبة

للخليفة العباسي بعد أن رفع الدعاء للفاطميين بحلب وإنطاكية والمعرة وشيرز شهرا وقدم اعتذارا للخليفة العباسي المستظهر (٤٨٧هـ - ٥١٢هـ) (٦٠) .

كل هذا يحصل والقوات الإفرنجية حطت رحالها على مشارف إنطاكية وحاصرتها بعد ثلاثة أيام فقط (٦١) ، وقد أبدع المؤرخ سعيد عبد الفتاح في تصوير حالة السلاجقة بقوله : ((وإذا كان السلاجقة قد أثبتوا في وقت من الأوقات أنهم سيوف الإسلام الذائدون عنه فإن هذه القوة ما لبثت أن انفلتت عند مجر الحروب الصليبية مما كان له أكبر الأثر في نجاح الحملة الصليبية الأولى)) (٦٢) .

الموقف الفاطمي عشية الحملة الصليبية وأثره في مواجهتها .

كان الموقف الفاطمي قبل وصول طلائع الفرنجة إلى بلاد الشام وأثناء وصول طلائعهم على مشارف إنطاكية وحصارها سنة ٤٩٠ هـ موقفا سلبيا وسيئا ومنذ اللحظة الأولى وكان امتدادا لموقفهم تجاه الوجود السلجوقي ووجدوا في هجوم الفرنجة الفرصة السانحة لإعادة نفوذهم على بلاد الشام متوهمين أن الفرنجة جاءوا ليتوقفوا عند البلاد التي كانت بيد الروم ولا يتوسعون إلى سواها وقد انطلت عليهم هذه الخديعة ووقفوا موقفهم السلبي ، ووجدوا في ذلك فرصتهم لتأديب السلاجقة ، في الوقت الذي وصلت به رسل الفرنجة بهذا المعنى إلى رضوان صاحب حلب وأخيه دقاق صاحب دمشق ، إلا أن هذه الحيلة لم تنطل عليهم (٦٣) وكان الموقف الفاطمي سلبيا قبل هذا التاريخ بنقلهم صورة سلبية عن الوضع الداخلي في بلاد الشام والصراع الدائر بين القوى مما أطمع الفرنجة في غزوها ، حيث أكد المؤرخون ذلك ، يقول ابن ظافر (ت : ٦٢٢هـ) : ((لما ملك الفرنج بيت المقدس ندم الأفصل حيث لا ينفعه الندم ، لأنه كان أحب نزولهم الساحل ، ليكونوا مانعين من نفوذ الترك إلى ديار مصر وأرسل إلى الفرنج يوبخهم على ما فعلوه)) (٦٤) ، وهذا يؤكد تآمره معهم على السلاجقة .

وذهب ابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) إلى القول : ((إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزة ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، ودخول الإقسيس (أتسز الخوارزمي) إلى مصر وحصرها خافوا وراسلوا الفرنج يدعونهم للخروج إلى بلاد الشام)) كما أكد ذلك النويري (٦٥) .

أما ابن خلدون (ت : ٦٨١ هـ) فيؤكد ذلك بقوله : ((تم استحثهم وحرضهم ... العبيديون بمصر لما استفحل ملك السلجوقية وانتزعوا الشام من أيديهم وحاصروهم في مصر فيقال : إن المستنصر الفاطمي (٤٢٧هـ - ٤٨٧ هـ) دس إلى الإفرنج بالخروج وتسهيل أمرهم ، ليحولوا بين السلجوقية وبين مرامهم فتجهز الإفرنج (٦٦) .

وقال السيوطي (ت : ٩١١هـ) : ((إن صاحب مصر لما رأى من قوة السلاجقة واستيلائهم على الشام كاتب الفرنج للمجيء إلى الشام ليملكوها)) (٦٧) .

وعبر ابن تغري (ت : ٨٧٤هـ) عن استغرابه لهذا الموقف السلبي من الحملة الصليبية بقوله : ((ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال)) (٦٨) .

وللإجابة على استغرابه أقول : كأنهم كانوا على موعد معهم وإلا فبإمكانهم ، وعلى الرغم من العداء المستحكم أن يفتحوا صفحة جديدة من العلاقات ، سيما وأن سياسة رضوان بن تتش صاحب حلب قد سهلت فتح قنوات سليمة كان بالإمكان إذا صدقت النية استثمارها إلا أنهم لم يفعلوا ذلك بل فعلوا العكس مع تمكنهم على ذلك ، وقدرتهم على إرسال الجيوش ، وبذل الأموال في سبيل الحيلولة دون دخول الفرنجة بلاد الإسلام ويؤكد قدرتهم على ذلك ما يأتي :

أولا : في الوقت الذي كانت فيه طلائع الفرنجة على مشارف إنطاكية سنة ٤٩٠هـ أرسل الفاطميون جيشا إلى صور واستباحوها قتلا وسلبا ونهبا وكان الأولى أن تكون هذه الحملة لدفع الفرنجة ومنعهم من دخول إنطاكية (٦٩) .

ثانيا : عندما حاول رضوان بن تتش قائد سلاجقة الشام وصاحب حلب إقامة علاقات ودية معهم بعد إعلانه الاعتراف بهم ودعا للحاكم الفاطمي المستعلي على منابر حلب ، أرسلوا له على جناح السرعة الوفود وأكدوا استعدادهم لبذل الأموال والرجال ، لكي يتمكن من انتزاع دمشق من أخيه دقاق (٧٠) حصل هذا قبل حصار إنطاكية سنة ٤٩١هـ (٧١) .

ثالثا : في الوقت الذي كانت فيه جيوش المسلمين بقيادة كربوقا تقاتل من أجل استعادة إنطاكية وتحريرها من أيدي الفرنجة تقوم القوات الفاطمية بقيادة الأفضل بحملة عسكرية إلى بيت المقدس وانتزاعها من أبناء أرتق ، وكان لتحركاتهم هذه آثار سلبية على الموقف العسكري للقوات الإسلامية التي تحاصر إنطاكية حيث انسحب دقاق من إنطاكية عند سماعه الخبر وذلك في شعبان سنة ٤٩١هـ (٧٢) .

وقد أكد المؤرخون قدرتهم ماليا وبشريا في الفترة موضوع البحث ، حيث بلغت واردات مصر على عهد الأفضل خمسة آلاف ألف دينار (٧٣) وأما تعداد جيشها فقد وصل إلى (١٨٠) ألف مقاتل (٧٤) وقد أكد رنسيمان أن الإمبراطور البيزنطي نصح قادة الفرنجة في الحملة الصليبية الأولى بضرورة الاتصال الودي مع الفاطميين في مصر وهم يدركون ما بين العباسيين والفاطميين من الشقاق والكراهية وما بين الأمراء أيضا ، ولذلك نرى أن الفاطميين قد أرسلوا وفدا إلى الفرنجة في إنطاكية (٧٥) ولم تستطع القوات الإسلامية الوصول إلى نتيجة حاسمة وفشلت في تحقيق أهدافها ويمكن أن نعزو ذلك لما يأتي (٧٦) :

أولا : إصرار كربوقا على خروج الصليبيين من إنطاكية بالسيف ، في الوقت الذي كان بإمكانه السماح لهم بمغادرتها واستعادتها بأقل خسائر ، فقد أصبح موقف الفرنجة حرجا وصعبا للغاية بسبب الحصار الذي فرضه المسلمون عليهم وأوشكوا على الهلاك لانعدام الميرة والأقوات داخل المدينة .

ثانيا : لم يقدم كربوقا على تثبيت قوات الفرنجة الخارجة من إنطاكية ولم يسمح للقادة بقتلهم فاستطاعوا تنظيم قواتهم وواجهوا الجيش الإسلامي خارج المدينة وهزموه .

ثالثا : تكبر كربوقا على من معه من القادة فأضمروا له الغدر ، وكان أبرز هؤلاء القادة المرافقين له دقاق بن تتش وطغتكين وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق وغيرهم من الأمراء ، وكان الأولى به التشاور واستغلال تجمعهم هذا لإعادة توحيد الجهود بجبهة قوية سيماران الموقف يستدعي نبذ الخلافات والابتعاد عن الأغراض الشخصية الضيقة ، وكان من نتائج تهوره الانقسام في صفوف الجيش الإسلامي وانسحاب القوات النظامية وقادتها وبقي معه المتطوعة من المجاهدين الذين صبروا احتسابا لله فاستباحتهم جيوش الفرنجة وقتلوا الآلاف منهم وغنموا عسكرهم فصلحت حالهم .

رابعا : انعدام الثقة والعداء المستحكم بين أبناء تتش فقد اعتبر دقاق الرسائل المتبادلة بين رضوان وكربوقا ، محاولة منها لانتزاع دمشق منه ، كما أن القيادات التي التفت حول كربوقا هي الأخرى كانت تعاني من العداء المستحكم كأميري حمص ومنبج كان من الصعب خلق موقف موحد .

خامسا : قيام الفاطميين بقيادة الأفضل بن بدر الجمالي بحملة عسكرية سنة ٤٩١هـ على بيت المقدس وانتزعها من أبناء أرتق مما جعل دقاق يفضل العودة والانسحاب إلى الجنوب لصدهم عن أطماعهم (٧٧) .

سادسا : انسحاب أعداد كبيرة من العرب بتحريض من وثاب بن محمود بن مرداس كما أن بعض الترك انسحبوا بتحريض من رضوان صاحب حلب .

سابعا : نجاح القسسة ورجال الدين في إثارة الروح المعنوية في صفوف الفرنجة ، مما أعاد لهم الثقة في أنفسهم فاندفعوا إلى القتال بقوة (٧٨) .

ويمكن القول أن النظرة العنصرية والطائفية والمذهبية الضيقة والأنانية لعبت دورها في إفشال هذه الحملة الفاصلة ويتحمل جميع القادة الذين شاركوا فيها المسؤولية أمام الله والتاريخ ، لأنهم فرطوا بحق أمة مقابل مصالحهم الذاتية الضيقة .

وهكذا لعب الخلاف المذهبي والعداء السياسي بين السلاجقة والفاطميين من جهة والصراع الأسري على السلطة بين أبناء البيت السلجوقي والصراع بين القادة وما رافقه من الأحقاد وانعدام الثقة إلى تكريس حالة التمزق في أحرج ظروف الأمة مما سهل المهمة أمام القوات الغازية للمضي في حملتهم والسيطرة على مناطق أخرى من بلاد الشام بدأ بمعرة النعمان (*) وانتهاء ببيت المقدس التي استباحوها سنة ٤٩٢ هـ وقتلوا فيها سبعين ألفا جلهم من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وسرقوا كل ما طالته أيديهم (٧٩) .

الموقف في إنطاكية .

على الرغم من استبسال الشعب العربي المسلم من أهلنا في الشام في الدفاع عن بلادنا ومحاولاتهم دفع الخطر الفرنجي عن إنطاكية وبذلهم كل ما في وسعهم من أجل ذلك إلا أن الخيانة لعبت دورا بارزا وفاعلا في اقتحام القوات الفرنجية لحصونها ، حيث تآمر مجموعة من حماة الأبراج (*) مع قوات الفرنجة فسهلوا لهم دخولها وضاعت بفعلهم الجبان هذا جهود تسعة أشهر من السهر والحراسة ، واقتحمت جيوش الفرنجة المدينة واستباحوها في جمادى الأولى سنة ٤٩٠هـ قتلا وسلبا ونهبا في الرجال والنساء والأطفال ، وهرب صاحبها باغسيان ، إلا أن القدرة كان بانتظاره حيث سقط عن فرسه فاحتز رأسه رجل أرمني وحمله إلى الإفرنج في إنطاكية (٧٦) . والجدير بالذكر أن باغسيان بذل كل ما في وسعه في الدفاع عن مدينته وأوقع المسلمون بقوات الغزو الإفرنجي خسائر كبيرة وهلك منهم خلق كبير إلا أن الخيانة ضيعت تلك الجهود .

إن سقوط إنطاكية بيد القوات الغازية كان وقعه مؤلما على المسلمين لذلك هب المسلمون على المستوى الرسمي والشعبي لاستعادتها ولكن للأسف الشديد تأتي هذه المحاولات متأخرة وبعد فوات الأوان ، وقد تزعم حركة الجهاد كربوقا صاحب الموصل والتفت حوله جميع القيادات السلجوقية وتطوع معه الآلاف من المجاهدين دفاعا عن أرضهم وعرضهم إلا أن جهوده لم تثمر .

وقد أجاد ابن القلانسي في نقل صورة واقع العالم الإسلامي المتردي عشية الحملة الصليبية الأولى بقوله : ((وردت الأخبار لما أهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في أحوالهم بالخلف والمحاربة)) (٨٠) . وأيده الحريري .

أما ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) فيقول : ((فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين ... فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الأبيوردي (*) في هذا المعنى أبياتا :

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر صلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب ثبت نارها بالصوارم
فأيها بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمة في ظل أمن وغبطة ... وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم

وإخـــوانكم في الشـــام يضـــحى مقيلـــهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تســـومهم الـــروم الهـــوان وأنـــتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

إلى قوله :

وتلـك الحـروب مـن يغـب عـن غمارهـا ليســلم بقــرع بعــدها ســن نــادم

وينهي قصيدته بقوله :

فـــإن أنـــتم لم تغضـــبوا بعـــد هـــذه رمينـــا إلى أعـــدائنا بـــالجرائم (٨١)

رحم الله الشاعر الأبيوردي ماذا لو كان من أهل هذا الزمان الذي أصبح فيه العرب والمسلمون كالأيتام على مأدبة اللئام وقد استباحتهم سيوف الصليب من جديد قتلا ونهبا وتنكيلا بحملتهم الصليبية الأولى على أفغانستان سنة ٢٠٠٠م وحملتهم الصليبية الثانية على العراق سنة ٢٠٠٣م .

الصراع المذهبي وأثره في ضعف الجبهة الداخلية في بلاد الشام .

شهدت بلاد الشام صراعا عرقيا ومذهبيا كان له الأثر البالغ في خلق حالة التمزق ومنع أي جهد جاد ومخلص من تحقيق أهدافه في المنطقة ويرجع السبب في ذلك إلى تعدد القوميات والأقليات والثقافات التي أدت إلى استفحال وخطورة هذا الأمر في مجتمع بلاد الشام عشية الغزو الفرنجي ، وقد لعبت العوامل الجغرافية دورا كبيرا في تكريسها وعلى الأخص الجبلية ، حيث انكفأت الأقليات العرقية والمذهبية في هذه المناطق التي يصعب الوصول إليها كملاذ آمن لها وللمتمردين على السلطة والحالمين بالسلطان واستقطبت الأقليات إلى صفوفها وتأتي على رأس هذه الأقليات التي تشكل منها النسيج السكاني لبلاد الشام :

المارونيون : يعتبر المسعودي أول مؤرخ مسلم سمى الموازنة بهذا الاسم وعرف بمواطنهم (٨٢) وعرف بهم ابن الأثير (ت : ٦٣٠هـ) بقوله : ثم ملك موريق (ملك الروم) عشرين سنة وأربعة أشهر ، وفي أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماة يعرف بمارون ينسب إليه المارونية من النصارى وأحدث رأيا يخالف من تقدمه وتبعه خلق كثير بالشام (٨٣) .

وقد اتخذ المارونيون المسيحيون من سلسلة جبال لبنان والمعروفة بجبل السماق منطقة نفوذ لهم حيث أقاموا فيها حكما مستقلا بلغت قوته حدا جعلها تنافس الأمراء المسلمين من السلاجقة وغيرهم .

ويكثر الموارنة في القرى والضياع العالية حيث الثلوج والجليد (٨٤) وقد اتسم موقف الموارنة بالعداء للإسلام واستقبلوا الغزاة الفرنجة وتعاطفوا معهم وأصبحوا عيونا وأدلاء لهم وقدموا لهم المشورة في الطرق التي يسلكونها إلى بيت المقدس وكانوا عونا لهم على المسلمين (٨٥) .

وقد أطلق مؤرخو النصارى مصطلح (المردة) ويقصد بها طائفة الموارنة على وجه التخصيص (٨٦) حيث انضموا إلى صفوف الغزاة وقاتلوا إلى جانبهم ، وقد عبر المؤرخ وليم الصوري في حديثه عن الحملة الصليبية الأولى بقوله : ((وكان هناك طائفة معينة من نصارى الشام تعيش على قمم جبال لبنان الشاهقة والتي تطل ذراها العالية على المدن الواقعة إلى الشرق ... وجاء هؤلاء النصارى المعروفون بالمارونيين مهنئين للحجاج مبدين لهم حبهم الأخوي ، ولما كانوا على دراية تامة بالمنطقة وما حولها فقد استدعاهم القادة مستفسرين منهم عن أسلم الطرق وأيسرها إلى بيت المقدس فصدقهم هؤلاء ... القول ودلوهم على الدروب المختلفة المؤدية إلى حيث يقصدون ... ثم زكوا لهم في النهاية طريق الساحل ، لأنه أقصر الدروب المباشرة إلى وجهتهم ، ولأن الحجاج إن سلكوا ما أشاروا به عليهم أمكنهم الحصول على العون من سفنهم التي سوف تتبع الجيش في تقدمه)) (٨٧) وهذا يعني أن الموارنة على الرغم من طول المدة التي عاشوها مع المسلمين ظلوا

ينظرون إليهم نظرة الريب والشك والخوف والعداوة فما أن سنحت لهم الظروف ليعبروا عن ذلك كله حتى أظهروه وكشفوا عن ذلك كله ((ورحبوا بالفرنجة بدافع من الحب الأخوي بالعقيدة الواحدة التي تجمع بينهما وقدموا المشورة للغزاة في الطريق التي عليهم أن يسلكوها وقدموا لهم الأدلاء والمرشدين)) (٨٨) وكان لمساندة المردة الموارنة للإفرنج دور كبير في إفشال كل محاولات الدفاع عن مدن المسلمين وكان موقفهم سببا في سقوطها بيد الفرنجة فقد استعان بهم الفرنجة أثناء حصارهم لطرابلس وشكلوا في جيشهم فرقة نظامية من سكان القرى من جبال لبنان وكانوا يشكلون فرق الرجالة بينما كان الفرنجة يشكلون الفرسان وشاركوا في اقتحام طرابلس ، وكان لهم خبرة في رمي النشاب الخارق على القوس الثقيل ومنعوا أي نجدة عبر قراهم للمسلمين (٨٩) .

النصيرية : طائفة من غلاة الشيعة وتنسب إلى محمد بن نصير الكوفي الذي عاش في أواخر ق ٣هـ ومذهب هذه الطائفة لا يعرف عنه إلا القليل ذلك أن أصحابه لا يظهرونه إلا إلى أفراد الطائفة نفسها وهم يؤلهون الإمام علي (ﷺ) ويعتبرونه آخر مراحل التجسيد الإلهي وأضفوا عليه الكثير من الصفات الإلهية ويرون أن ابن ملجم قاتل الإمام علي ﷺ أفضل الخلق ، لأنه حسب قولهم خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره (٩٠) وهم أهل جبل (جبال كسروان) يشاركهم فيها العلويون وبعض المتأولة (٩١) ولم يعرف عن النصيرية وقوفهم إلى جانب الفرنجة بل العكس كانوا دوما مع حكام المسلمين وكانوا ينظرون إلى الفرنجة باعتبارهم غزاة .

الدروز : وهي فئة نشأت في أعقاب اختفاء الخليفة الفاطمي الحاكم (*) سنة ٤١١هـ وتدين بألوهيته وتنتمي هذه النحلة إلى مؤسسها محمد بن إسماعيل الدرزي وقد استقر أتباعه في مرتفعات جنوب لبنان والجهات الواقعة على الهضبة من نهر العاصي وحلب المعروفة بجبل السماق وهم عشائر كبيرة حيث تحول التنوخيون من العشائر اللخمية التي كانت في الأساس من أهل السنة والجماعة واعتبارا من سنة ٤٠٨ هـ إلى مذهب الموحدين المعروفين بالدروز وأسسوا إمارة ذاتية في جبال الشوف ووادي التيم مع الإشراف على بيروت نفسها وكانوا مخلصين في ولائهم للحكام المسلمين وتصدوا لحملات الإفرنج ودافعوا عن بيروت دفاعا مستميتا إلا أن مساندة المردة الموارنة للإفرنج أفشل كل محاولاتهم في الدفاع عن مدينتهم وما لبثت بيروت أن سقطت بيد الإفرنج بسبب مواقف الموارنة (٩٢) ويرى بعض المؤرخين أنهم ظلوا يتأرجحون بين الولاء للصليبيين حينا وللمسلمين أحيانا وكان بينهم وبين المتأولة (وهي فرقة من غلاة الشيعة) (*) تنافس حول الزعامة ...) (٩٣) ولكن موقفهم على العموم إيجابيا فقد انحازوا إلى سائر المسلمين (٩٤) .

الروم : يعود وجودهم في بلاد الشام إلى ما قبل الإسلام بعدة قرون وهم نصارى يتبعون الكنيسة الشرقية وكانوا من رعايا الدولة البيزنطية ويطلق عليهم المؤرخون المسلمون اسم النبط ، وينتشر الروم في القرى والمزارع وعلى السفوح الجبلية وفي السهول وداخل المدن الساحلية (٩٥) وكان موقفهم إيجابيا حيث ساندوا المسلمين في تصديهم للقوات الإفرنجية الغازية ووقفوا إلى جانب ابن صليحة صاحب جبلة في فك الحصار الذي ضربه الفرنجة عليها وأسروا مقدمهم . يقول ابن الأثير (ت : ٦٣٠ هـ) : ((فقرر (ابن صليحة) صاحب جبلة مع النصارى الذين بها أن يراسلوا الإفرنج ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلموه لهم فلما أتتهم الرسالة جهزوا (أي الفرنج) ثلاثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا إلى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون بالحبال واحدا بعد الآخر وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور واحد منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين فلما أصبح الصباح رمى لهم الرؤوس فرحلوا عن الحصن)) (٩٦) .

الإسماعيلية : ظهرت كفرقة شيعية ثم تطورت في مذهبها حتى جمعت بين الإلحاد في الدين والإباحية ، وهم أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق وتقوم تعاليمهم على المزج بين مذاهب دينية

مختلفة وآراء سياسية واجتماعية ومبادئ فلسفية متنوعة وانبثقت منها عدة نحل ، منها الحركة الباطنية الحثيثية (*) أو الفداوية التي ظهرت في فجر الحركة الصليبية وأخذت تتشكل وتنتظم في بلاد الشام ، وكان للباطنية دور سيئ وقبيح بمحاولاتهم قتل قادة المسلمين في أحرج الظروف التي تتعرض فيها أمة الإسلام إلى هجمة صليبية شرسة حيث كانت فرق الباطنية توجه صفعات موجعة من الخلف إلى صفوف المسلمين في محاولة لإضعافهم وإحداث إرباك في صفوفهم وخلق ثغرات في جبهتهم تستغلها قوى الغزو الفرنجي لصالحها وكان أثر ذلك واضحا على المجتمع العربي الإسلامي وخطرهم كان كبيرا حتم على القيادات الإسلامية العمل بسرعة لوقف خطرهم وتوجيه ضربات موجعة لهم في محاولة لاجتثاثهم والتخلص من خطرهم في بلاد الشام خاصة وعموم بلاد الإسلام ، وقد أحسن صاحب دمشق دقاق بن تتش عندما قتل عددا كبيرا منهم اتهموا بانتمائهم إلى حركة الإسماعيلية الحشاشين (٩٧) .

الأرمن : وهم فئة من النصارى من أهالي بلاد الشام كان لهم موقف سلبي فقد كشفوا عن وجههم القبيح مستغلين حالة الفوضى التي عمت بلاد الشام بسبب الغزو الفرنجي ووصوله إلى شمال بلاد الشام وقاموا بشن غارات على قرى المسلمين من أعمال حلب سنة ٤٩١هـ ووصلوا إلى تل قباسين (*) وقتلوا سكانها من المسلمين فتجمع لهم سكان القرى وطردوهم وقتلوا عددا منهم ولجأ آخرون إلى بعض الحصون فلحقت بهم عساكر حلب (عساكر رضوان بن تتش) وقتلوا بعضهم وأخذوا منهم ألفا وخمسمائة أسير إلى حلب (٩٨) والخائن صاحب الأبراج بإنطاكية أرمني وقاتل باغسيان صاحب إنطاكية وقاطع رأسه أرمني حيث ذهب برأسه إلى الفرنجة بعد دخولهم إنطاكية وهزيمة المسلمين وقام الأرمن بتسليم مدينة الرها إلى الصليبيين وكان جميع سكانها من الأرمن الذين كاتبوا الفرنجة وسلموا لهم المدينة (٩٩) ، وأصبحت فيما بعد من أخطر الإمارات الصليبية في المنطقة .

الصراع البيزنطي السلجوقي - معركة ملاذ كرد - ونتائجها .

بدأ هذا الصراع على أرض الواقع منذ العام ٤٥٥هـ أي بتولي السلطان ألب أرسلان قيادة السلاجقة (٤٥٥هـ - ٤٦٥هـ) وتبنيه استراتيجية قائمة على مواجهة الروم البيزنطيين في آسيا الصغرى واعتبارهم العدو الأول ودارهم دار حرب كما أنه وضع نصب عينه القضاء على النفوذ الفاطمي في بلاد الشام كي يحمي ظهره من خطرهم للتفرغ لأمر الروم وتعد سنة ٤٥٦هـ البداية الأولى لعملياته العسكرية ضدهم وكانت جبهة أذربيجان هدفه الأول فقد حققت قواته انتصارات ساحقة أوصلت الجهد العسكري السلجوقي إلى العمق البيزنطي عند بحيرة وان وأرومية وسيطرت القوات السلجوقية على جورجيا وبلاد الأرمن (١٠٠) كما أن جيوشه تقدمت في العمق البيزنطي ووصلت إلى عمورية وعادت لحصار إنطاكية وأخذت من أهلها الجزية وقدرها عشرون ألف دينار وذلك في العام ٤٦١هـ (١٠١) .

إن هذه الانتصارات التي حققتها الجيوش الإسلامية في العمق البيزنطي دفعت الإمبراطور رومانوس ديوجونيس إلى مهاجمة الأطراف الشمالية من بلاد الشام سنة ٤٦٢هـ فاستطاعت قواته من دخول منبج واستباحتها وقتل عدد كبير من أهلها ، كما استطاعت قواته هزيمة صاحب حلب للفاطميين محمود بن صالح بن مرداس ومن معه من العرب (١٠٢) .

وعندما سمع السلطان ألب أرسلان بما حصل في بلاد الشام قرر جمع عساكره ، لأنه إن لم يفعل ذلك فإن ذلك هزيمة الإسلام والمسلمين فأرسل إلى عساكره وأعلن الجهاد وعبر عن ذلك بقوله : ((أنا في هذه الغزاة صابر صبر المحتسبين وصائر إليه مصير المخاطرين ، فإن سلمت فذلك ظني في الله تعالى ...)) (١٠٣) . وقبل أن يواجه قوات الإمبراطور قرر تأمين جبهة بلاد الشام وكانت حلب هدفه الأول حيث نجح في ضمها إلى نفوذه سنة ٤٦٣هـ واعترف بها صاحبها محمود بن صالح

بن مرداس وأعلن الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢هـ – ٤٦٧هـ) وألغى الخطبة للعبيديين الفاطميين في مصر كما أنه أوعز إلى أحد قادته المدعو أتسز الخوارزمي لاستكمال السيطرة على مدن بلاد الشام حيث توجه إلى فلسطين وأخضع جميع مدنها عدا عسقلان ومنها توجه إلى دمشق وحاصرها (١٠٤) .

أما ألب أرسلان فتوجه من حلب إلى مدينة خوى (*) بأذربيجان وهناك سمع نبأ تحشد الروم ، فقرر مواجهة العدو على الرغم من الفارق الكبير في العدد والعدة بين الطرفين ، وسار بحشده الذي كان عددهم خمسة عشر ألفا فقط بينما كان عدد جيش الإمبراطور تجاوز مائتي ألف حتى وصل إلى خلاط (*) وهناك تقابل الجيشان عند موقع ملاذ كرد وهي من أعمال خلاط ، وكان الإمبراطور قد رتب جيشه ودارت رحى معركة جانبية بين قوات ألب أرسلان والقوة الروسية استطاع ألب أرسلان هزيمة القوات الروسية وأسر مقدمها ، وتجدر الإشارة إلى أن مراسلات جرت بين الطرفين قبل الدخول في المعركة الفاصلة عرض فيها السلطان ألب أرسلان عقد هدنة إلا أن الإمبراطور رفضها وأجابه لا هدنة إلا بالري باعتبارها حاضرة السلاجقة ، وقد شجع الفقهاء والعلماء السلطان ألب أرسلان ودعوا الله تعالى أن ينصره ، وقرر أن يكون يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر ، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة ، ولما حانت ساعة الصفر وصلى ألب أرسلان مع جيشه وبكى فبكى الناس لبكائه تضرعا لله ودعا ودعوا معه ، وخاطبهم بلهجة الواثق بربه قائلا : ((إما أن أبلغ الغرض وإما أن أمضي شهيدا إلى الجنة فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني ومن أحب أن ينصرف فليمض ومن يتبعني ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة والغنيمة ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة ، كما قال لهم فما هاهنا سلطان يأمر وينهي وهذا تواضع لله ، وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط ، وقال إن قتلت فهذا كفني وزحف إلى جموع الروم وزحفوا إليه وعندما أصبح قريبا منهم ترجل وعفر وجهه بالتراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل على العدو وحملت العساكر معه ، ونزلت أسود الله إلى سوح الوغى بائعة أرواحها رخيصة في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله فأنزل الله نصره عليهم وامتلأت ساحة المعركة بجثث الروم وأسر الإمبراطور نفسه وعندما حضر بين يدي السلطان ألب أرسلان ضربه ثلاثة مقارع بيده وقال له : ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت ، فقال له : دعني من التوبيخ وافعل ما تريد ، فقال له : السلطان ما عزمت أن تفعل بي إن أسرتني فقال : أفعل القبيح ، فقال له ما تظن أني فاعل بك قال إما أن تقتلني وإما أن تشهر بي في بلاد الإسلام والأخرى بعيدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعي نائبا عنك ، قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وأن يرسل إليه عساكر الروم أي وقت طلبها وأن يطلق جميع الأسرى في بلاده وتكون مدة الهدنة خمسين سنة ، وقبل أن يغادر الإمبراطور سأل عن جهة العراق (بغداد) فأناخ رأسه إجلالا وخضوعا للخليفة وأوصله السلطان إلى مأمنه ، وعندما سمعت الروم بهزيمته وما اتفق عليه من شروط جرى انقلاب عسكري ، وعند وصول الإمبراطور رومانوس إلى قلعة دوقية بلغه الخبر ، فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل إلى قائد الانقلاب ميخائيل يعلمه بما استقر عليه الأمر مع السلطان ، فطلب ميخائيل وساطته وأرسل رومانوس إلى السلطان مئتي ألف دينار وطبقا من ذهب عليه جواهر بتسعين ألف دينار وأقسم أنه لا يقدر على غيرها)) (١٠٥) .

فقد تصرف ألب أرسلان تصرف الفاتحين المحررين والأقوياء لا المغرورين وطلب الهدنة والسلام قبل بدء المعركة لا خوفا وإنما هذا هو نهج الإسلام في الحفاظ على أرواح المسلمين وهذا هو خلق المجاهدين الصابرين .

هذه هي معركة ملاذ كرد التي أيقظت أوربا من سباتها ، وخلفت وراءها متغيرات سياسية وعسكرية بالغة الأهمية ، ذلك أن الكنيسة وعلى رأسها البابا أسرعت إلى استغلال هذا الحدث التاريخي لتحقيق أهدافها ووضعت كل ثقلها في هذا الاتجاه وبدأت بنسج خيوط المؤامرة على بلاد الإسلام وجندت كل طاقاتها وإمكاناتها ورجالها وراء هدفها مستغلة حالة الفوضى التي عمت العالم الإسلامي بين عام (٤٦٣هـ – ٤٩٠هـ) وفي بلاد الشام على وجه الخصوص بسبب صراع القوى الذي تناولناه في المباحث السابقة ، في محاولة للخروج بأوربا من أزمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والتي كانت في الواقع أكثر سوءا مما كان عليه العالم الإسلامي في الفترة موضوع البحث . إلا أن غياب القيادة المركزية وضعف سلطة الخلافة وصراع القوى كان سببا في نجاح الأهداف التي رسمتها البابويه وقد نجحت في تسويق أفكارها إلى المواطن الأوربي باسم الدين لتبرير حربها على الإسلام ، وأشرفت إشرافا مباشرا وكان من مصلحتها تشجيع تلك الحروب ، لأنها أصبحت معينا لا ينضب من المال الذي امتلأت به خزائنها من ضرائب وعشور تجمعه للانفاق على الحملات (١٠٦) وكذلك رغبة في التخلص من مضايقات أمراء الإقطاع لها ذلك بإرسالهم إلى الشرق الإسلامي بعيدا عنها يحققون غاياتهم وأهدافهم هناك ومن خلالهم تبسط سيطرتها على العالم المسيحي في المشرق والمغرب ، حيث يعتقد البعض أن الحروب الصليبية التي قادتها الكنيسة الغربية إنما هي موجهة إلى النصارى الشرقيين قبل المسلمين يؤيد رأيهم هذا ما عاناه البيزنطيون الذين لا يتبعون الكنيسة الكاثوليكية من عبث الفرنجة وقسوتهم قبل وصولهم إلى بلاد الشام ، ويؤيد ذلك أيضا قيامهم بحملة صليبية للاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ونهبها وتخريبها (١٠٧) .

وهذا يعني بالتالي أن النوايا الاستعمارية العدوانية قائمة وحاضرة في أهداف الكنيسة ولا تحتاج إلى دليل ، فغايتها هي الاستيلاء على العالم الإسلامي (١٠٨) .

يقول غوستاف لوبون عن فظاظة الفرنجة وعبثهم بقوله : ((جمعت أي الكنيسة لغاياتها البرابرة والفساق ومن أعماهم الطمع وطلب الدنيا ومن عملوا الفظائع دون تفريق بين مقاتل وطفل رضيع)) (١٠٩) .

وينقل الأستاذ أحمد رضا بك قولا لابنه إمبراطور بيزنطة وهي معاصرة للأحداث قولها : ((إن ألذ ملاهيهم أن يقتلوا جميع أطفال المسلمين الذين يصادفونهم ويصلونهم نارا)) (١١٠) .

ويمكن أن نعزو سبب قسوتهم والهستيريا التي تنتابهم إلى عقدة الانهزام التي لازمت العقلية المسيحية الغربية بسبب الهزائم التي منيت بها المعاقل المسيحية في بلاد الشام والأندلس ووصول جحافل المسلمين في حدود فرنسا ، وإن هذه الانتصارات ظلت عالقة في أذهانهم يتوارثونها كابرا عن كابر ، وظل عبد الرحمن الغافقي رحمه الله وحملته الخالدة ماثلة للعيان وشكلت انتصارات المسلمين بمرور الزمن الرؤية الثابتة في العقلية الغربية تجاه العالم الإسلامي باعتباره العدو اللدود والخطر الدائم ورسخت في عقولهم استنتاجا ومفهوما لا يقبل النقاش ((إن عالما إسلاميا قويا يعني عالما أوربيا مهدا بالاجتياح وأن مقاومته أولى فروض الدين عند النصارى)) (١١١) ولذلك رفعت الكنيسة شعارها ((اضربوا المسلمين حيث تعثرون عليهم)) (١١٢) بل وصل بهم الأمر إلى وصف المسلمين بالكفار (١١٣) وجاءت استغاثة الإمبراطور البيزنطي بالغرب الأوربي الحجة الواهية ، لكي يعبر الغرب الأوربي عن حقده الدفين على الإسلام بحجة حماية حصونه المهددة وأصبح العالم الإسلامي وابتداء من ق ٥ هـ / ق ١١م في حالة دفاع عصيب لدفع أذى الغرب عنه وما ذلك إلا لضعفه وتفرق كلمته (١١٤) .

بناء على ما تقدم فقد مارست الكنيسة الكاثوليكية الغربية أنشطة منظمة حشدت لها كل رجالها وإمكاناتها وسخرت كل ملوك أوربا لهذا الهدف وتوجت ذلك بحشد الآلاف من الجنود بحملات حربية منظمة لغزو العالم الإسلامي فهاجم الفرنجة مصر وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا والأندلس (١١٥) ووجد الغرب المسيحي فرصته التاريخية في إخضاع العالم الإسلامي والسيطرة عليه من جديد ، وكانت أوربا في تلك الحقبة قد نهضت من سباتها وقد أصابها الفزع فحملت عدتها في هجوم متواصل على العالم الإسلامي في مصر وبلاد الشام بالذات (١١٦) وكانت أوربا تعاني من تردي الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسيطرة الإقطاع والظلم والجهل والفوضى العامة من المجاعات والأوبئة دفع الناس للهجرة إلى الشرق للخروج من أزماتهم وأملا في الخلاص منها . إلا أن ثمة عامل قوي وفاعل لعب دورا في نجاح الإعداد لهذه الحرب القذرة وتلافي كل المعوقات والسلبيات التي تقف دون تحقيقها .

أولا : إن العالم الإسلام كان يعيش حالة من الفوضى وصراع القوى سياسيا واجتماعيا وعسكريا ودينيا يضاف له انعدام القيادة أو غيابها التي كرست حالة التمزق والتشرذم .

ثانيا : نجاح الكنيسة في الحصول على تحليل دقيق لهذه الحالة التي يعاني منها العالم الإسلامي فأسرعت لاستغلالها وتحقيق غاياتها المعلنة وغير المعلنة .

ثالثا: استغلال سلطتها الروحية وهيمنتها المطلقة على ملوك أوربا وشعوبها .

رابعا : كانت الخلافة العباسية فاقدة لهيمنتها وسلطتها تحت وطأة الأمراء السلاجقة الذين كانوا عبأ ثقيلا جاثما على جسد الأمة خصوصا بعد وفاة السطان ملكشاة (٤٦٥هـ – ٤٨٥هـ) وما تلاه من صراع أسري بين أبنائه في العراق وإيران وبلاد الشام وما عانته البلاد تحت وطأتهم من مرارة الظلم والقهر وانعدام الأمن مما جعل المنطقة لقمة سهلة بيد الصليبيين بعد أن استنفذت صراعاتهم طاقات الأمة في حروب سحقت الأخضر واليابس .

خامسا : كان العالم الإسلامي في نظر الأوربيين الأرض التي تدر سمنا وعسلا وثراء لا ينفد (١١٧) .

هوامش البحث .

(*) العبيديون (الفاطميون) : هناك فريق يقول أنهم أدعياء وهم من ولد ديصان النوبي الذي ينسب إليه النوبة ، وأن ديصان كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهب في الغلو فولد ميمون عبد الله ، ومنهم من يقول : ((سمو العبيديين نسبة إلى عبد الله وهو في الأصل سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن القداح بن ديصان النوبي الأحوازي وأصله من المجوس ومنهم من يقول أن عبد الله من اليهود . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر (ت : ٨٤٥هـ) ، الخطط المقريزية ، (لبنان ، لا . ت) ، ٢/١٥٠-١٥١ .

(*) البساسيري : لقب بالمظفر وهو أرسلان بن عبد الله التركي ، كان مقدما على الأتراك وكان الخليفة العباسي القائم بأمر الله لا يقطع أمرا دونه وكان صاحب الكلمة والرأي إلا أنه خرج عن طاعة الخليفة وأراد تغيير الدولة ثم أظهر ذلك وخطب للمصري وأعلن الولاء للخلافة العبيدية وقتل سنة ٤٥١هـ على يد السلطان السلجوقي طغرلبك (٤٢١هـ – ٤٥٥هـ) . ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي مكرم (ت : ٦٣٠هـ) ، الكامل من التاريخ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٨م) ، ٨/٨٦ ؛ الحسيني ، علي بن الحسين ، أخبار الدولة السلجوقية ، (لاهور ، ١٩٣٣م) ، ص٢١ .

(١) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت : ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (بيروت ، لا . ت) ، ٩/٤٠٤ ؛ الشيرازي ، هبة الله بن أبي عمران (ت : ٤٧٠هـ) ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تح : كامل حسين ، (القاهرة ، ١٩٤٩م) ، ص٩٦ .

(*) ألب أرسلان : هو محمد بن داود سلطان السلاجقة قتل سنة ٤٦٥هـ بيد يوسف الخوارزمي على ضفاف نهر جيحون ضربه بسكين كانت معه . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/٢٧٦ – ٢٧٧ .

(*) طغرلبك : أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق وهو أول ملوك السلجوقية وهو الذي بنى لهم الدولة وكان ملكه ثلاثين سنة وعمره سبعين ، توفي سنة ٤٥٥هـ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/٢٣٣ – ٢٣٤ .

(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ٨/٩٨ – ٩٩ ؛ الحسني ، المصدر السابق ، ٤٠ – ٤١ .

(٣) ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة (ت : ٥٥٥هـ) ، ذيل تاريخ دمشق ، (بيروت ، ١٩٠٨م) ، ٩٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/٢٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٨/٩٨ – ٩٩ .

(*) الرحبة : وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات . ياقوت ، معجم ، ٣/٣٤ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/٢٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٨/٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٦ .

(*) منبج : من جند قنسرين جعلها الرشيد عاصمة العواصم . ياقوت ، معجم البلدان ، ١/٢٦٦ – ٢٧٠ .

(٥) القلانسي ، تاريخ دمشق ، تح : د. سهيل زكار ، (دمشق ، ١٩٨٣) ، ٩٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٨/١٠٧ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ٨/١٠٧ .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٧/٨ .
(٨) الشيرازي ، المصدر السابق ، ١٤٣ ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ١٩٨٣ ، ٨٠ .
(٩) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ١٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٨/٨ .
(*) ديار بكر : بلاد كبيرة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط حدها بين دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين . ياقوت ، معجم ، ٢٣٦/٢ .
(*) آمد : لفظة رومية وهي مدينة فتحت سنة ٢٠هـ على يد عياض بن غنم ﷺ . ياقوت ، معجم ، ٥٦/١ .
(*) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ست فراسخ . ياقوت ، معجم ، ١٠٦/٣ .
(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٩/٨ .
(*) أتسز الخوارزمي : أحد قادة السلاجقة يلقب بالملك المعظم نجح في انتزاع بلاد الشام من الفاطميين قتل عام ٤٧١هـ على يد تتش بن ألب أرسلان ، ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت : ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ٢٩٥/٥ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد (ت : ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، (بيروت ، ١٩٨٤م) ، ١٣١/١٨-١٣٢ .
(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ١١٠/٨ .
(١٢) نفسه : ١١٠/٨ .
(١٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٧٦/٨-٢٧٧ .
(*) ملكشاة : أبو الفتح بن أبي شجاع محمد ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب جلال الدولة ملك تسع عشرة سنة وعمر سبعا وثلاثين سنة توفي سنة ٤٨٥هـ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧١/٩-٧٢ .
(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ١١٢/٨-١١٣ .
(١٥) نفسه : ١١٨/٨ ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ٨١ .
(١٦) سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر (ت : ٦٥٤هـ) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تح : علي سويلم ، (أنقرة ، ١٩٦٨م) ، ١٨٧ .
(١٧) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت : ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تح : محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، لا . ت) ، ٤٢٤ .
(*) الريف : في لغة العرب موضع الزرع والشجر ، إلا أنه غلب في مصر على أسفل الأرض وفيها سبع كور أهمها دقهلة ، تنيس ، دمياط ، العباسية . المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد اليشاري (ت : ٣٩٠هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ، أبريل ، ٢٩٧-١) ، ١٩٤ .
(*) بدر الجمالي : أرمني الأصل دخل في خدمة الفاطميين على عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧هـ - ٤٨٧هـ) وقلد إمارة دمشق مرتين ، ثم واليا على عكا ، ثم قلد الوزارة سنة ٤٦٨هـ . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥هـ) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح : كمال الدين الشيال وآخرون ، (القاهرة ، ١٩٧٣م) ، ٣٢٩/٢-٣٣١ ؛ الخطط المقريزية ، ١٦٤/١ .
(١٨) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ١٧٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٣/٨ .
(١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٣/٨ .
(٢٠) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (بيروت ، لا . ت) ، ١٩٤/٥ ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ٣٢٩/٢ .
(٢١) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، تح : د. سهيل زكار ، (دمشق ، ١٩٨٣م) ، ١٨٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٦/٨ .
(٢٢) ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٧/٨ ؛ أبو الفداء ، إسماعيل (ت : ٧٣٢هـ) ؛ المختصر في أخبار البشر ، (لبنان ، لا . ت) ، ١٩٤/٢ .
(٢٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٢/٨ .
(٢٤) نفسه : ١٣٢/٨ .
(٢٥) نفسه : ١٣٧/٨ .
(٢٦) نفسه : ١٣٧/٨ .
(٢٧) خاشع المعاضيدي ورشيد الجميلي ، تاريخ الدويلات الإسلامية في المشرق والمغرب ، (بغداد ، ١٩٧٩-١٩٨٠م) ، ١٥٠ .
(٢٨) ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٩/٨ .
(٢٩) نفسه : ١٥٠/٨ .
(*) قسيم الدولة أقسنقر : مملوكا تركيا شجاعا دينا حسن السيرة ملك الموصل وحلب كانت له وقفات مع الفرنج ، قتل على يد الباطنية يوم الجمعة في الجامع بالموصل سنة ٥١٩هـ وهو يصلي . مرآة الزمان ، ق١ ، ج١١٦/٨-١١٧ ؛ المختصر في أخبار البشر ، ١٥٩/٣ .
(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٠/٨ ؛ سرور ، محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، (القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ٦٠ .
(٣١) ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٨/٨ .
(٣٢) نفسه : ١٦٨/٨ .
(٣٣) المقريزي ، الخطط ، ١٦٤/١ ؛ سرور ، المصدر السابق ، ٢٧٩ .
(٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٢/٨ .
(٣٥) الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ٩٩ .
(٣٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٣٢٣/٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٧/٨ .
(٣٧) نفسه : ١٢٢/٨ .
(٣٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٣٠٧/٨ .
(٣٩) ابن خلكان ، المصدر السابق ، (مصر ، ١٩٤٩م) ، ١٥٤/٢ .

(٤٠) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ١٩٥/٢ (طبعة لبنان) .
(٤١) ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٥/٨ ؛ أبو الفداء ، المصدر السابق ، ١٩٦/٢ .
(٤٢) ابن العديم ، كمال الدين عمر (ت :) ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تح : سامي الدهان ، (دمشق ، ١٩٥٤م) ، ٩١/٢-٩٢ .
(٤٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٤٤/٨ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٢٤ .
(٤٤) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، (القاهرة ، ١٩٦٦م) ، ٥٩٩ .
(*) أرتق بت أكسب : هو أحد قادة السلاجقة الذين رافقوا فخر الدولة بن جهير في قتاله لبني مروان في ديار بكر وشرف الدولة العقيلي صاحب الموصل وقد أرسله شرف الدولة عندما حوصر في آمد وبذل له المال لكي يمكنه من الخروج وعدم الوقوع في الأسر سنة ٤٧٧ هـ وكان مسؤولا عن حفظ الطرق فسمح له وخرج منها وقصد الرقة . ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٥/٨ .
(٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ١٤٠/٨ .
(٤٦) نفسه : ١٤٠/٨ .
(٤٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١٠١/٢ .
(*) تمثل هذا الصراع بين بركيا روق ومحمود أبناء ملكشاة ، وكان مع كل واحد منهم مجموعة من القادة تؤيده وجيش يسانده . المنتظم ، ابن الجوزي ، ٦٣/٩ . وأما الطرف الآخر فهو الصراع بين بركيا روق وعمه تتش بن ألب أرسلان الذي عاد إلى الشام بعدما عاد عدد كبير من أفراد جيشه إلى صف ابن أخيه بركيا روق بن ملكشاة . ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ٢٤ ؛ الحسيني ، محمد بن محمد (ت : ٧٤٣هـ) ، العراق من الحكاية السلجوقية ، ترجمة وتحقيق : عبد المنعم محمد حسين وحسين أمين ، (بغداد ، ١٩٧٩م) ، ٧٦ . وما بعدها بين بركيا روق وخاله إسماعيل بن ياقوتي الذي انتهى بقتل إسماعيل سنة ٤٨٦هـ . الحسيني ، المصدر السابق ، ٧٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، (طبعة بيروت) ، ٣١/٥ .
(٤٨) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، طبعة (بيروت ، ١٩٠٨م) ، ٢٨٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٧/٨ .
(٤٩) الراوندي ، محمد بن علي بن سلمان ، راحة الصدور وآية السرور ، (مصر ، ١٩٦٠م) ، ١٧ ؛ المعاضيدي ، خاشع ، دولة بني عقيل في الموصل ، (بغداد ، ١٩٦٨م) ، ١٣٧ وما بعدها .
(٥٠) ابن القلانسي ، المصدر السابق (بيروت ، ١٩٠٨م) ، ١٢٧ ، ١٢٩- ١٣٠ ؛ ابن العديم ، المصدر السابق ، ١١٨/٢ .
(٥١) ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٠/٨ .
(٥٢) ابن القلانسي ، المصدر السابق (بيروت ، ١٩٠٨م) ، ١٢٩-١٣٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٥/٨ .
(٥٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٦/٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، (بيروت ، ١٩٧٧م) ، ١٩١/١ .
(٥٤) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣٤/٥-٣٥ ، (بيروت ، ١٩٧١م) ؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، (بيروت ، ١٩٧٠م) ، ٢٠٨/٢ .
(٥٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٩٧/٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٩/٨ ، ١٦٧ ، ١٧٣ .
(٥٦) ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٢/٨ .
(*) يوسف بن آبق التركماني : من قادة الملك تتش أرسله شحنة لبغداد عام ٤٨٨ هـ عندما أعلن نفسه سلطانا ودخل بغداد ورحل عنها بعدما سمع بمقتل تتش متوجها إلى الموصل ثم إلى حلب قتله رضوان بوشاية من المجن رئيس الأحداث بحلب . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨٤/٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٤/٨ .
(*) المجن : وهو رئيس الأحداث بحلب له أتباع كثيرون حاول التفرد بحكم حلب عن طريق الإيقاع بين الملك رضوان من تتش وأعوانه حيث قتل بسببه يوسف بن آبق كما أوقع بين رضوان وأخيه دقاق وبين رضوان وجناح الدولة انتهت بهزيمة جناح الدولة إلى حمص وهزيمة دقاق إلى دمشق ، وكانت خاتمته وخيمة حيث تغير عليه الملك رضوان وقتله بعد أن عذبه ، وكان المجن في حقيقته رجلا يعمل بشق الخشب في السواد . ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٩/٨ .
(٥٧) ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٩/٨ .
(٥٨) ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٦/٨ .
(٥٩) نفسه : ١٨٤/٨ .
(٦٠) نفسه : ١٨٥/٨ ؛ المقريزي ، الخطط ، (لبنان ، لا . ت) ، ١٦٥/١ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٢٧ .
(٦١) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٥/٨ .
(٦٢) الحركة الصليبية ، (القاهرة ، ١٩٧٨م) ، ١١١/١ .
(٦٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٦/٨ .
(٦٤) ابن ظافر ، جمال الدين علي الأزدي (ت : ٦٢٢هـ) ، أخبار الدولة المنقطعة (القسم الخامس ، الفاطميين) ، تح : أندريه فريه ، (القاهرة ، ١٩٧٢م) ، ٢٣٠ .
(٦٥) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٦/٨ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح : محمد أمين ومحمد حلمي ، مركز تحقيق التراث ، (القاهرة ، ١٩٩٢م) ، ٢٥٠/٢٨ .
(٦٦) ابن خلدون ، المصدر السابق ، (طبعة دار الكتب العلمية) (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ٢١٥/٥ .
(٦٧) السيوطي ، المصدر السابق ، ٤٢٧ .
(٦٨) النجوم الزاهرة ، (طبعة دائرة المعارف والإرشاد) (القاهرة ، لا . ت) ، ١٤٦/٥ .
(٦٩) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٢/٨ .
(٧٠) نفسه : ١٨٤/٨ ؛ السيوطي ، المصدر السابق ، ٤٢٧ .
(٧١) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٤/٨ (وذلك سنة ٤٩١هـ) .
(٧٢) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ٢٢١ .

(٧٣) ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي (ت : ٦٧٧هـ) ، المنتقى في أخبار مصر ، تح : أيمن فؤاد سيد ، (القاهرة ، ١٩٨١م) ، ٨٤ ؛ فايد حماد عاشور ، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨١) ، ١١٠-١١١ .

(٧٤) ناصر حسرو ، أبو معين المروزي (ت : ٤٨١هـ) ، سفرنامة ترجمة : أحمد خالد ، (الرياض ، ١٩٨٣م) ، ٩٩ .

(٧٥) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٦/٨ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢٥٢/٢٨ ؛ فهمي توفيق مقبل ، الفاطميون والصليبيون ، الدار الجامعية ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ٥٥-٥٦ .

(*) الجماعة كانوا بقيادة (زراد يعرف بروزبه) بذل له الإفرنجة الأموال وإقطاعا وكان يحقد وجماعته على باغسيان ، وكان هذا الملعون يتولى حفظ الأبراج على الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تم الأمر بينه وبينهم جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا فيه . ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ٢٠٠٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٦/٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٤٩١-٥٠٠) ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ٩ .

(٧٦) النويري ، المصدر السابق ، ٢٥٢/٢٨ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، (القاهرة ، لا . ت) ، ١٤٤/٥ .

(٧٧) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٦/٨ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١٣٦/٣-١٣٧ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢٥٤/٢٨-٢٥٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٢١٥/٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٤٦/٥-١٤٧ .

(٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٧/٨ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١٣٦/٢-١٣٧ ؛ إبراهيم خليل ، كربوقا ودوره في مقاومة الصليبيين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، ١٠١-١٠٢ .

(*) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص بين حلب وحماة . ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت : ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، (بيروت ، ١٩٨٤م) ، ١٥٦/٥ .

(٧٩) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١٤٢/٢ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢٥٥/٢٨-٢٥٦ ؛ ابن الحريري ، أحمد بن علي ، الأعلام والتبيين في خروج الإفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تح : د. سهيل زكار ، مكتبة دار الملاح ، ١٩٨١م ، ٦٣ .

(٨٠) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ٢٢٧ ؛ ابن الحريري ، الإعلام والتبيين ، ٢٥-٢٦ .

(*) الأبيوردي : أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد ، ينسب إلى أبيور بلد في خراسان وكان أديبا مشهورا وكانت وفاته سنة ٥٥٧هـ . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ٤٤٩/٤ .

(٨١) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٩/٨ ؛ ابن كثير ، أبو الفدا الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تح : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٧٨م) ، ١٦٧/١٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٢١٧/٥ .

(*) الموارنة : نصارى ينسبون إلى القديس مارون الذي كان صديقا ليوحنا فم الذهب . د. عبد السلام تدمري ، موقف النصارى في ساحل دمشق من الصراع الإسلامي – الفرنجي ، بحث مشارك في ندوة بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي – الفرنجي ٤٩١هـ – ٦٩٠هـ ، جامعة اليرموك ، (إربد ، ١٩٩٩م) ٢ ؛ للمزيد ينظر : زكي النقاش ، أضواء توضيحية على تاريخ الموارنة ، (بيروت ، ١٩٧٠م) ، ١٢ .

(٨٢) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦هـ) ، التنبيه والأشراف ، طبعة دار التراث ، (بيروت ، ١٩٧٨م) ، ١٣١ ؛ عمر عبد السلام تدمري ، موقف النصارى في ساحل دمشق ، ٢ .

(٨٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٩١/٨ .

(٨٤) العريني ، السيد الباز ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، (مصر ، ١٩٦٣م) ، ٢٦ .

(٨٥) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ترجمة : حسن حبشي ، (القاهرة ، ١٩٩٢م) ، ٦٢/٢-٦٣ .

(٨٦) عمر عبد السلام تدمري ، موقف النصارى في ساحل دمشق ، ٦ .

(٨٧) وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ٦٢/٢-٦٣ .

(٨٨) نفسه : ٦٢/٢-٦٣ .

(٨٩) ابن شداد ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحلبي (ت : ٦٨٤هـ) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : دومنيك موروديل ، (دمشق ، ١٩٥٣م) ، ٩٤/٢ .

(٩٠) ابن حزم ، علي بن أحمد (ت :) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ط٢ ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٧٥م) ، ١٨٣/٤ وما بعدها .

(٩١) سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام ، ط١ ، (مصر ، ١٩٦٥م) ، ٢٠٧ .

(*) الحاكم : قتل على يد أخته بعدما اتبع سياسة تعسفية مع المصريين حيث اتفقت على قتله مع ابن دواس ثم قامت بقتل ابن دواس وكل من ساعدها على ذلك . ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٩٧/٧-٣٠٠ .

(٩٢) العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ٢٦ ؛ عبد الرحمن بدري ، مذاهب الإسلاميين ، (بيروت ، ١٩٧٣م) ، ٥٩٢/٢ ؛ عباس أبو صالح ، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء ، (بيروت ، لا . ت) ، ٦٠ .

(*) الغلاة : هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام إلهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم يؤمنون بالحلول والتناسخ وزعموا بحلول الله سبحانه وتعالى في أشخاص ولذلك عبدوهم وألهوهم ، والتناسخ هو التحول من حال إلى حال فيكون بعضها مكان بعض وهي عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر . الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت : ٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، تح : أمير علي وعلي حسين فاعور ، ٢٠٣/١ .

(٩٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام ، ٢١٠ .

(٩٤) العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ٢٦-٢٧ .

(٩٥) د. عمر عبد السلام تدمري ، موقف النصارى في ساحل دمشق ، ١ .

(٩٦) ابن الأثير ، الكامل ، ١٩٩/٨ .

(*) الحشاشون : وهي حركة باطنية نشأت على يد الحسن بن الصباح الداعي لخلافة نزار بن المستنصر الفاطمي سنة ٤٨٣هـ متزامنة مع دعوة البابا أوربان الثاني ٤٨٩هـ لحرب صليبية على المسلمين وكان خطر هذه الفئة الضالة كبيرا على

المجتمع الإسلامي . المقريزي ، الخطط ، ١٦٤/١ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ٣١/٢-٣٢ ؛ عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرقو العرب في العصور الوسطى ، (بيروت ، ١٩٧٢م) ، ٣٤٤ .

(٩٧) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١٧١/١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٢٠٠/٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ؛ سليمان مظهر ، قصة الديانات ، دار الوطن ، (بيروت ، لا . ت) ، ٥٦٧ ؛ محمد بديع شريف ، الصراع بين الموالي والعرب ، (بيروت ، ١٩٥٤م) ، ٦٣ .

(*) تل قباسين : قرية من قرى العواصم من أعمال حلب ، ياقوت ، معجم ، ٤٢/٢ .

(٩٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ١٣٢/٢ .

(٩٩) ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٦/٨ . (وعملية تسليم الرها من قبل ثوروس الذي يطلق عليه متى الرهاوي سيد الرها – وخيانته لوطنه والتي لقي نتائجها حيث أقدم بلدوين على قتله بعد مدة) . عاشور ، الحركة الصليبية ، ١٧٧/١ ؛ وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، الأعمال المنجزة في ما وراء البحار ، ترجمة : د. سهيل زكار ، دار نوبليس ، دار الفكر ، (دمشق ، ١٩٩٠م) ، ٢٦٩/٢ .

(١٠٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٣٦/٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٩/٨ ؛ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ٥٩٤-٥٩٥ .

(١٠١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٤/٨-٢٥٥ .

(١٠٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٥٦/٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٨/٨ .

(١٠٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٩/٨-١١٠ .

(١٠٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ١٦٦-١٦٧ ؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو مظفر يوسف قزاو علي (ت : ٦٥٤هـ) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، حواث (٤٤٨هـ-٤٨٠هـ) ، تح : علي سويلم ، (أنقرة ، ١٩٦٨م) ، ١٧٨ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، تح : سامي الدهان ، (دمشق ، ١٩٦٣م) ١٧٣-١٧٤ .

(١٠٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٦١/٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١٠٩/٨ ؛ الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان ، راحة الصدر وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة : إبراهيم الشواربي وآخرون ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ١٨٩ .

(١٠٦) د. جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللآتين في الحروب الصليبية الأولى ، ط٣ ، دار النهضة ، ١٩٨١ ، ٧١-٧٢ .

(١٠٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ٤٥٦ ؛ أحمد رضا بك ، وثائق عن الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد بورقيبة وآخرون ، ط٣ ، (تونس ، ١٩٧٧م) ، ٨٤ .

(١٠٨) د. جوزيف نسيم ، المصدر السابق ، ٥٨ ، ٧٢ ، د. رشيد عبد الله الجميلي ، العرب والتحدي الصليبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، (بغداد ، ١٩٩٠م) ، ٨ ؛ عاشور ، الحركة الصليبية ، ٧٢/١ .

(١٠٩) حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط٢ ، (القاهرة ، لا . ت) ، ٤١٠ .

(١١٠) وثائق عن الحروب الصليبية ، ٨٤ .

(١١١) باركر ، آرنست ، الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، مكتبة النهضة ، (القاهرة ، لا . ت) ، ٩ ؛ رنسيمان ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجم : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٦٧م) ، ٧٨٨/٣ .

(١١٢) عفيف عبد الفتاح طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧٣م) ، ١٢ .

(١١٣) جمال الدين الشيال ، التاريخ اللإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٩م) ، ٧٩ .

(١١٤) ابن كثير ، أبو الفدا (ت : ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، دار المعارف ، ط٥ ، (بيروت ، ١٩٨٣م) ، ١٠٠/١٣-١٠١ ؛ عبد النعيم ، محمد حسنين ، سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٩م) ، ٥٧-٥٨ .

(١١٥) عاشور ، الحركة الصليبية ، ١٢٥٨/٣ .

(١١٦) تيسير بن موسى ، نظرة عربية على غزوات الإفرنج منذ بداية الحرب الصليبية حتى وفاة نور الدين ، (الدار الوطنية للكتاب ، لا . ت) ، ٦٠-٦١ .

(١١٧) محمد عمارة ، العرب والتحدي ، سلسلة المعرفة (٢٩) ، مطابع اليقظة ، الكويت ، ١٤٧ ؛ محمد علي الهرفي ، شعراء الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، دار الاعتصام ، (القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ٣٩ .